الباب الخامس

ب 5 الخوئي يتخلى عن منهج الاجتهاد في بحث العقيدة.

ف 1 الخوئي يحاول الاستدلال بآيات عامة وغامضة على نظرية الامامة

ف2 - **حديث الغدير**

ف3 حديث العترة أو الثقلين

ف4 **آية الإنذار وحديث الدار**

ف5 حديث المنزلة

ف6 نظرية الامامة الأولى المستمرة الى يوم القيامة

ف 7 الأئمة لا يعلمون بامامتهم من قبل

ف 8 كيف أثبت الخوئي إمامة بقية الأئمة؟

ف9 الرد على الخوئي في استدلاله على نظرية الامامة وامامة بقية الأئمة

ف 10 **الاثنا عشرية**

ف 11 كيف آمن الخوئي بوجود (الامام الثاني عشر)؟

ف 12 **الولاية التشريعة للأئمة ووجوب إطاعتهم**

ف 13 اتهام أبي بكر باغتصاب الخلافة من علي؟

ف 14 **الخوئي وفرضية التفسير المنزل**

ملحق 1 رسالة الخوئي الى مؤتمر الغدير

ب 5 الخوئي يتخلى عن منهج الاجتهاد في بحث العقيدة.

ف 1 الخوئي يحاول الاستدلال بآيات عامة وغامضة على نظرية الامامة

يعتقد السيد أبو القاسم الخوئي أن "إمامة أهل البيت من الأركان الكبرى في العقيدة الاسلامية، وانها **جزء متمم للرسالة واستمرار لوجودها**. وان الامام علي هو الذي نص عليه النبي (ص) بالوزارة والوصاية والخلافة في أول البعثة عندما خطب في عشيرته الأقربين".

راجع كلمة السيد الخوئي بمناسبة مرور 14 قرنا على عيد الغدير الأغر. (الموسم) 1990 العدد 7 ص 67- 669

وبالرغم من أن الخوئي يعتبر الامامة أصلا من أصول الدين، أو ركنا مهما من أركان الاسلام، الا أنه لم يعتمد في بناء هذه العقيدة على القرآن الكريم، الا بالتأويل التعسفي لبعض الآيات في بعض المواضيع الجزئية والهامشية، وأما السنة فقد اعتمد منها على أخبار الآحاد، والمراسيل.

وهذا يعود الى أنه ورث عقيدته من الأجواء المحيطة به، ولم يقرأ التاريخ الشيعي بصورة دقيقة، ولم يستمع الى الأحاديث الصحيحة المتواترة بصورة محايدة وموضوعية حتى يعرف النظرية السياسية الصحيحة لأئمة أهل البيت.

وبدلا من قراءة التاريخ الصحيح، فان الخوئي يغرف من تراث الغلاة الذين يزعمون بأن الله قد خلق النبي محمد (ص) والامام علي (ع) من نور، قبل خلق آدم بعشرات آلاف السنين، ويقول في (أرجوزته):

"إنّ عليّاً كان نوراً و أنا و آدمُ وَ زَوْجُه لَمْ يُقْرَنا

بِخَمسَةٍ و تِسْعَةٍ آلافِ مِنَ السنينَ وَ هُوَ فَضْلٌ كافِ

إختارَهُ و اختارَني الربُّ العَليّ مِنْ كلّ صِدّيقٍ نَبيٍ أو وَلي

إنّ عليّاً و أنا مِنْ شَجَرة و غَيْرُنا مِنْ شَجَرٍ ما أكْثَرَه"

ولذا يعتقد الخوئي بأن الامام علي أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين، ما عدا النبي محمد (ص) خلافا للقرآن الكريم، ويقول:

"فَضْلُ عليٍّ فَوْقَ فَضْلِ الانْبِيا سِوى إبنِ عَمّه إمام الأصْفيا"

وقد حاول الخوئي الاستدلال على نظرية الامامة بالقرآن والحديث، ولكنه لم يبحث الموضوع بصورة علمية مستقلة وشاملة، وانما تطرق اليها عرضا في عدد من كتبه ودروسه، ككتاب *(التنقيح في شرح المكاسب)* و *(مصباح الفقاهة)* الا أنه لم يجتهد فيها بعمق، ولم يعد النظر ولم يدرسها بصورة محايدة، وانما كرر ما قال شيوخ الامامية ودافع عنها بصورة غير علمية، فقد قام بتأويل بعض آيات القرآن الكريم بصورة تعسفية، كما اعتمد على أحاديث نبوية ضعيفة، وقام بتأويلها أيضا، ووصفها بالتواتر، خلافا للواقع، واعتمد أيضا في بناء نظرية الامامة على أحاديث منسوبة للامام محمد الباقر، الذي كان أول من ادعى الامامة الإلهية *(أو كما ينسب اليه)* وفي ذلك دور منطقي باطل، كان يفترض بالخوئي أن يثبت نظرية الامامة أولا من خارج تراث الامامية ثم يعتمد على أقوال الأئمة. وكان الخوئي بهذا المنهج أبعد ما يكون عن الاجتهاد والتحقيق، وأقرب الى التقليد والمنهج الغوغائي.

وقد حاول الاستدلال على نظرية الامامة بالآيات التالية العامة والغامضة مثل:

1. قوله تعالى: "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" (الأحزاب، 6)
2. وقوله تعالى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ" (المائدة، 55)
3. وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا"(النساء، 59)
4. وكذا قوله تعالى " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا"(الأحزاب، 36)

الخوئي، التنقيح في شرح المكاسب، ج 2 البيع 2 ص 159- 160

ورغم وجود عدة تفاسير لكلمة "أولوا الأمر"الوارة في آية الطاعة (النساء، 59) بين من قال بأنهم القادة والأمراء الذين كان يعينهم النبي بنفسه، وبين من قال انهم الأمراء أو العلماء، بشكل مطلق، أو الحكام الذين يبايعهم الناس طوعا وينتخبونهم بصورة شرعية. الا ان الخوئي قال عرضا في أحد دروسه: "وقد فسّر أُولوا الأمر بالأولياء". ولم يقل من الذي فسر الكلمة بالأولياء؟ ومن هم الأولياء؟ ربما اعتمادا على المفهوم المركوز في ذهنه، المعتمد على الروايات الشيعية الواردة عن الأئمة أنفسهم.

ولسنا بحاجة لمناقشة بقية الآيات التي حشرها الخوئي في الاستدلال على نظرية الامامة، مثل: "النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ" (الأحزاب، 6) إذ أنها لا تشير من قريب ولا من بعيد الى موضوع الامامة، وانما تتحدث عن النبي الأكرم.

وأما آية الأحزاب (36) فهي تتحدث عن طاعة الله ورسوله إذا قضى أمرا، وليس فيها أي حديث عن الامامة والأئمة، الا بتأويلها تأويلا تعسفيا، وتفسيرها بالامامة.

وأما آية المائدة (55) فانها أيضا لا تتحدث عن الامامة، وانما عن الولاء: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ" والولاء يختلف عن الامامة والخلافة، ثم ان الآية تتحدث بصيغة الجمع وعن عامة المؤمنين في المجتمع الإسلامي، وليس المفرد "الذين آمنوا". ولا يمكن أن تفهم جيدا، اذا قرأت بصورة منعزلة عن الآيات السابقة واللاحقة لها. مثل الآية التالية لها: "وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" (56) ومن الواضح أنها تتحدث عن علاقة الحب والمودة والنصرة بين المؤمنين.

ويتضح المعنى أكثر عندما نقرأ الآيات السابقة على آية (55) التي تنهى عن الولاء لليهود والنصارى، وتلوم المنافقين على اسرارهم بالولاء لهم، وهي كما يلي: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)** فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا

أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ "(٥٤) ثم تتحدث عن الولاء بين المؤمنين:" إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)" ويعود الله مرة أخرى ليحذر المؤمنين من موالاة أهل الكتاب والكفار المستهزئين بالدين: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ". (٥٧)

وهذه الآيات تأتي لتكرس مطلب الولاء بين المؤمنين الوارد في آيات أخرى، مثل قوله تعالى: " أولئك بعضهم أولياء بعض»:الأنفال: 72»، و "**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ "(71)**

ولكن يبدو أن الخوئي اعتمد في فهم آية المائدة (55) على بعض الأحاديث المنسوبة للامام الباقر، والتي تقتطع هذه الآية من سياقها، وتأولها تأويلا تعسفيا، وتعطيها معنى الامامة، وتربط هذا المعنى بالامام علي، كما في رواية الكافي

عن أبي جعفر الباقر، قال: أمر الله عز و جل رسوله بولاية علي و أنزل عليه: «إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا - الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكعون» و فرض من ولاية أولي الأمر فلم يدروا ما هي؟ فأمر الله محمدا (ص) أن يفسر لهم الولاية كما فسر الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج.

فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله (ص) و تخوف أن يرتدوا عن دينهم و أن يكذبوه، فضاق صدره و راجع ربه عز و جل فأوحى الله عز و جل إليه: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس»، فصدع بأمر الله عز ذكره، فقام بولاية علي يوم غدير خم فنادى: الصلاة جامعة، وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب. و كانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز و جل: «اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي".

واضافة الى ذلك فقد تناقض في أقواله والأحاديث التي ينقلها، ولم يتوقف عند الكثير من الأمور والأسئلة، أو تجاهلها بصورة متعمدة لأنها تنسف ما كان يحاول اثباته. مثل البداء والحيرة، ووجود الامام الثاني عشر، اذ أنه لم يقرأ التاريخ الشيعي جيدا، ولم يبحث موضوع ولادة ووجود الامام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) ولا فلسفة الغيبة المناقضة لنظرية الامامة.

فكيف يمكن أن يعتبر أحاديث الأئمة من أهل البيت حجة شرعية وهو لم يتأكد من إمامتهم؟ أو كيف يمكن أن يصدق (توقيعا) منسوبا للامام المهدي، وهو لم يبحث مسألة ولادته ووجوده؟

و لا نجانب الحقيقة اذا قلنا بأن السيد أبو القاسم الخوئي قد أفنى حياته في بحث وتدريس القواعد الأصولية لاستنباط الأحكام الشرعية. ولكنه لم يستعمل هذه القواعد في بحث نظرية الامامة الإلهية رغم أنها أهم من الأحكام الفقهية الجزئية، لأنها أساس كثير من تلك الأحكام .

ب 5 الخوئي يتخلى عن منهج الاجتهاد في بحث عقيدة الامامة

ف2 - **حديث الغدير**

أشار الخوئي في كتابه (البيان) الى "حديث الغدير" وهو: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره ، واخذل من خذله".

وقد اعتبره حديثا متواترا، وقال: " إنّ حديث غدير خمّ، لم ينكره إلّا المعاند المكابر، وروايات غدير خمّ كادت أن تكون متواترة، واعترف بها جمهور علماء العامّة..". وضرب مثلا، في بعض أبحاثه الأصوليّة للتواتر اللّفظيّ، فقال: "هو أن يخبر جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب لسماع لفظ بخصوصه عن المعصوم - سلام اللّه عليه- كالتواتر الحاصل بالنسبة إلى قول النبيّ "مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه" بغدير خمٍّ". وقال في بعض أبحاثه الفقهيّة: "بل هذا ثابت بالروايات المتواترة، وفي خطبة حجّة الوداع: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: بلى".

وقال الخوئي في (أرجوزة) له:

"هذا عَليٌّ و الغَديرُ يشْهَدُ بِأنَّهُ المَولى الامامُ الاوحَدُ

قَدْ أُمِرَ النّبيُ بالتبليغِ مُهَدَّداً بِوعدهِ البليغِ

فامْتَثَل النبيُّ أمْرَ رَبّه بذا استَقَرَّ الماءُ في مَصَبِّه

مِنَ الحُدوجِ قَدْ أقاموا مِنْبَرا رَقى بِها أمامَ سُكّانِ الثَرى

يَخْطُبُهم بِخُطْبَةٍ بَليغَة يَنْصحُهُم فيها بِكُلِّ صيغَة

مَدَّ بيُنماهُ عَليّاً رَفَعَه فَبَلّغَ القَوْمَ بِما قَدْ سَمِعَه

مُذْ تَمّتِ النَّعمةُ و اهتُمّ بِها أشْرَقَتِ الارضُ بِنُورِ رَبّها

تبيّن الرُّشْدُ مِنَ الغيّ فَلا يُعذَّرُ مَنْ في غَيّه تَوَغّلا

قال: عليٌّ هو مَوْلى مَنْ أنا مَولاهُ ربّي بَيْنَنا قَدْ قَرَنا

فَبادَرَ القَوْمُ لَهُ و اسْتَسْلَموا بِإمْرَةٍ لِلْمُؤمِنين سَلّمُوا

على عليٍ مُظهرينَ لِلْوَفا قُلُوبُهُم مَمْلُوءَةٌ مِنَ الجَّفَا

يُحِبُّه النّبيُ و الربُّ العَلي و المَلأ الأعْلى و ذو القَلبِ الصّفِي

لا يُنْكِرُ الغديرَ الا جاحِدُ مُكابرٌ منافقٌ مُعانِدُ

إنّ الغَدير أمرُه قَدْ اشتَهَر رَوَتْهُ أرْبابُ الحَديثِ و السِّيَر

راجعْ كتاباً للأميني كَي ترى إنّ الحديثَ جاوَزَ التَواتُرا".

وكما رأينا في هذه الأرجوزة، فقد اعتبر حديث الغدير قد تجاوز التواتر.

وقد أقام الخوئي مهرجانا في لندن، بتاريخ 18 ذي الحجة عام 1410، بمناسبة مرور 14 قرنا على ما يسميه "عيد الغدير"، وارسل كلمة القيت بالنيابة عنه، قال فيها: ان "هذا المهرجان المبارك المعقود لذكرى اعلان النبي (ص) لأمته ولاية أمير المؤمنين علي (ع) تنفيذا للأمر الإلهي في قوله عز من قائل:" يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك، وان لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس". و"أن هذا اليوم مرتبط كل الارتباط بمسألة من الأركان الكبرى في العقيدة الاسلامية، وهي مسالة الامامة في الدين التي يعدها الشيعة الامامية – تعبدا بما استنبطوه من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة – **جزءا متمما للرسالة واستمرارا لوجودها**". وان الامام علي "هو الذي نص عليه النبي (ص) بالوزارة والوصاية والخلافة في أول البعثة عندما خطب في عشيرته الأقربين". كلمة السيد الخوئي بمناسبة مرور 14 قرنا على عيد الغدير الأغر. (الموسم) 1990 العدد 7 ص 669 -67

وجاء في رسالة بعثها الخوئي الى ولده عبد المجيد، بمناسبة افتتاح (مركز الامام الخوئي في لندن) والذي كان في يوم الغدير، وصادف يوم السبت 20/6/ 1992 ما يلي: " الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، سيّما مصطفى هذه الذكرى المباركة الذي صدَع بأمر ولاية الله فيها، وعلى صاحبها الزكي الذي فُرضت طاعته على العباد، وعلى أبنائه الطاهرين الذين تمت بهم كلمة الله وعظمت به نعمته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فقد تلقينا ببالغ السرور نبأ عزمكم على افتتاح المركز الاسلامي الكبير التابع لمؤسستنا الخيرية في مدينة لندن، فرغبنا أن نشاطركم واخوتكم الكرام المشاركين في تنفيذ هذا المشروع المبارك، الغبطة والفرح بهذه المناسبة، سيّما وان خطوتكم الميمونة هذه تصادف الذكرى العطرة ليوم الغدير الاغر، يوم اكمال الدين واتمام النعمة.

أبوالقاسم الموسوي الخوئي

النجف الاشرف في 3 ذي الحجة 1412هـ".

ويبدو أن الخوئي قد اعتمد الرواية الخاصة الشيعية لحديث الغدير، كما يرويه أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي عن الامام محمد الباقر، أنه قال: "...

فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال: "أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله، ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن ادعى فأجيب وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون فما ذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت، وأديت ما عليك فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين، فقال: اللهم اشهد - ثلاث مرات - ثم قال: يا معشر المسلمين هذا **وليكم من بعدي** فليبلغ الشاهد منكم الغائب...".

وقد روى عبد الحسين الأميني في كتاب (الغدير في الكتاب والسنة والأدب) حديث الغدير كما يلي:

واقعة الغدير

"... فلما قضى (رسول الله (ص)) مناسكه وانصرف الى المدينة راجعا، ووصل الى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل اليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: "يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك" الآية، وأمره أن يقيم عليا علما للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد... قام خطيبا وسط القوم فقال:

الحمد لله ونستعينه... فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والاخر الأصغر عترتي، وان اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا" الله ورسوله أعلم، قال: ان الله موالي وانا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه – يقولها ثلاثا – وفي لفظ أحمد امام الحنابلة: اربع مرات، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي" الآية، فقال رسول الله (ص): الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة رضى الرب برسالتي ، والولاية لعلي من بعدي.

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين (ص) وممن هنأه في مقدم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر كل يقول: بخ بخ لك يا ابن ابي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

... هذا مجمل القول في واقعة الغدير، وسيوافيك تفصيل الفاظها

وقد اصفقت الأمة على هذا وليست في العالم كله وعلى مستوى البسيط واقعة إسلامية غديرية غيره".

وقد عقب الخوئي على هذه الرواية قائلا: "حديث الغدير، صريح في أن النبي (ص) انما نصب عليا بأمر الله، وبعد أن ورد عليه التأكيد في ذلك، وبعد أن وعده الله بالعصمة من الناس". وقال: "وأمّا الولاية التشريعية وكون الأئمّة (ع) نافذي التصرّف في الأموال والأنفس شرعاً ، فهي أيضاً ثابتة بلا ريب لقوله تعالى ... وقوله (ص) في يوم الغدير : " ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا بلى . قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه " وغير ذلك ممّا دلّ على ثبوت الولاية لهم في الأموال والأنفس".

وأضاف : "وممّا يدلّ على ثبوت هذه الولاية لهم (ع) ما حكاه الترمذي، في فضائل علي بن أبي طالب (ع) من أنّ جيشاً رجع إلى المدينة وكان يرأسهم الإمام علي بن أبي طالب (ع) وقد كان معهم أسرى وأعجبت واحدة منهنّ الإمام (ع) فأخذها لنفسه وواقعها وقد ساء ذلك عند الجماعة ... وبنوا على أن يخبروا النبي (ص) بذلك ، فلمّا وصل الجيش إلى المدينة ـ وكانت العادة أن يزوروا النبي (ص) بلامة حربهم ثمّ يرجعوا إلى دورهم وينزعوا لامتهم ـ وقد حضر واحد منهم النبي (ص) وهو لابس لامته وأخبر النبي (ص) بالحال فسكت النبي (ص) ثمّ جاءه الثاني وأخبره بالخبر وسكت النبي (ص) أيضاً حتّى جاءه ثالثهم فأخبره بالحال وعند ذلك غضب (ص) وقال : ماذا تريدون من علي بن أبي طالب ، أفلست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا نعم ، وقال : وهو - يعني علي بن أبي

طالب -: خليفتي وقائم مقامي من بعدي . وهذه الرواية على تقدير تمامية سندها تدلّ على المقصود بأحسن وجه".

مناقشة الخوئي في الاستدلال بحديث الغدير

لقد أشار الخوئي الى "حديث الغدير" في البيان، نقلا عن المفيد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، 38-40

وبنى عليه عقيدته في الامامة بصورة رئيسية، بالرغم من أنه حديث غامض يروى بأشكال مختلفة فيها زيادة ونقصان، دون أن يبين الخوئي ما المقصود منه هل الولاء الايماني؟ أم الولاية السياسية؟

ويظهر من خلال (الأرجوزة) النادرة التي يعبر فيها الخوئي عن عقيدته بشكل واضح، أنه كان يبني عقيدته على ما هو مركوز في الثقافة الشعبية الشيعية المتأخرة من فهم خاطئ لحديث الغدير، ومن قراءة غير دقيقة للحديث الذي أضاف اليه المحدثون الشيعة ما يشاءون من عبارات تؤكد نظرية الامامة.

وقد اعتبر الخوئيّ (حديث الغدير) متواترا، ولكنه لم يرو نصا معينا. ومع تسليمنا بصحة (حديث الغدير) فان مضمونه غير واضح، ولا يتضمن حديثا عن الامامة والخلافة، وهناك روايتان له إحداهما عامة يتفق عليها السنة والشيعة، وأخرى خاصة لا توجد الا في بعض المصادر الامامية الضعيفة:

الرواية المجمع عليها: لا تتضمن معنى الخلافة بصراحة

وانما تقول: " من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم انصر من نصره، واخذل من خذله".

فقد روى البخاري أصل القصة وهو أن النبي (ص) قبْل حجة الوداع أرسل خالد بن الوليد إلى اليمن في قتال غنم فيه غنائم، فأرسل إلى رسول الله (ص)

يخبره بذلك، ويطلب إرسال من يُخمِّس تلك الغنائم، فأرسل النبي عليَّ بن أبي طالب لتلك المهمة، وقسّم علي تلك الغنائم كما أمر الله: أربعةَ أخماس للمجاهدين، وخُمسًا لله والرسول وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. فأخذ عليٌّ خُمس ذوي القربى، فغضب بعض الصحابة كبُريدة بن الحصيب، فاشتكى بُريدة إلى النبي (ص) وقصَّ عليه ما فعل عليٌّ، فلم يَردّ عليه النبي ، وكرَّر بريدة الشكوى وما حصل من عليٍّ، فلما كانت الثالثة قال: يا رسول الله، عليٌّ فعل كذا وكذا، فقال النبي: "يا بريدة أتبغض عليًّا؟ قال: نعم يا رسول الله، فقال: لا تفعل فإن له في الخُمس أكثر من ذلك".

وفي رواية أخرى عن بريدة أنه قال: "غزوت مع عليٍّ اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله (ص) ذكرت عليًّا فتنقَّصته، فرأيت وجه رسول الله (ص) يتغيَّر، فقال: يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعَليٌّ مولاه".

روى مسلم عن زيد بن أرقم: أن النبي قام **خطيبا بماء يدعى " خما " بين مكة والمدينة فحمد الله ووعظ وذكر ، ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب** ، وانا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي".

ونقل الحاكم نفس الرواية عن زيد بن أرقم ولكن بلفظ مختلف وزيادة، أن النبي قال: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، ثم قال : إن الله عز وجل مولاي ، وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . . . " .

وهذه الرواية يتفق معها الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت 381) الذي يروي الحديث عن معروف بن خربوذ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، أن النبي

(ص) قال: "ألا من كنت مولاه فانّ عليا مولاه ، وهو هذا ، ثمّ أخذ بيد علىّ (ع) فرفعها مع يده حتّى بدت آباطهما: ثم: قال: اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، و اخذل من خذله". وان معروف عرض هذه الرواية على الامام الباقر فقال:" هذا الكلام **وجدناه فى كتاب على** (ع) وعرفناه".

وبناء على غموض (حديث الغدير) نفى الشريف المرتضى في كتابه "الشافي" أن يكون (حديث الغدير) نصا جليا في الإمامة، كما نفى علمه بقول أحد من الشيعة بذلك، وقال ردا على القاضي الهمداني، صاحب كتاب "المغني" الذي اتهم الشيعة الإمامية باختلاق القول بالنص الجلي:" إنه نص خفي، وليس بنص جلي".

وقد روى المفيد نفس الحديث أيضا، ولكنه أضاف عليه: " ثم نزل فأمر الكافة بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين تهنئة له بالمقام". دون أن يسند قوله الى أي مصدر.

مؤرخون ومحدثون لم يذكروا حديث الغدير

واضافة الى النص الغامض، فان أربعة من أهم وأوثق وأول المؤرخين المسلمين في القرنين الثاني والثالث، وهم محمد بن إسحاق (توفي ببغداد حوالي عام 150) وعبدالملك بن هشام (توفي 213) ومحمد بن عمر الواقدي (توفي 209) ومحمد بن جرير الطبري (توفي 310)، لم يذكروا حديث الغدير، بالرغم مما ذكروه من فضائل الامام علي، واتهامهم بالتشيع، فقد روى ابن إسحاق (حديث الدار) وذكر وصية النبي له أمام بني عبد المطلب واعلانه أن عليا خليفته وأمرهم بطاعته. بحيث اعتبر بعض علماء الرجال الشيعة أن (ابن إسحاق) من أصحاب الإمامين الباقر والصادق. ولكن (السيرة النبوية) لابن هشام، خلت من ذكر حديث الغدير، لأنه لخص سيرة ابن إسحاق، ولم يأت بشئ إضافي.

وكذلك الواقدي فانه لم يشر في كتابه (المغازي) الى حديث الغدير، بالرغم من ميله الى التشيع، كما يقول ابن النديم في (الفهرست): بأنه "كان يتشيع، حسن المذهب، يلزم التقية".

ونأتي أخيرا الى الطبري المتهم بالتشيع، الذي لم يشر في (تاريخه) الى (حديث الغدير) ولكن المؤرخ المتأخر إسماعيل بن كثير (701 - 774 هـ) زعم في كتابه (السيرة النبوية) بأن الطبري جمع في كتاب مستقل الأحاديث الواردة حول (حديث الغدير) بمختلف الطرق والألفاظ. وهو ما لم يثبت.

ولكن الخوئي لم يعتمد على الرواية المجمع عليها بين السنة والشيعة، وتشبث برواية شيعية خاصة من أحد المتطرفين وهو (أبو الجارود زياد بن المنذر العبدي) عن الامام محمد الباقر، أن النبي قال: "... هذا **وليكم من بعدي** فليبلغ الشاهد منكم الغائب...".

وبالرغم من ان هذه الرواية مرسلة وملفقة وغير دقيقة، ولم يعرفها مشايخ الطائفة الاثني عشرية كالشريف المرتضى. فان الخوئي قد تلقفها وكأنها حقيقة مطلقة، واعتبرها صريحة جدا.

وتشبث الخوئي برواية سنية معنعة و شاذة وضعيفة هي رواية الترمذي،

وهي رواية قال عنها الترمذي نفسه: " قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان". ومع ذلك فقد تلاعب بها الخوئي وحرف كلام النبي، وأضاف اليه ما لم يقله مثل: " أفلست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: نعم. وقال هو – يعني علي بن ابي طالب – خليفتي وقائم مقامي من بعدي" بينما رواية الترمذي تقول: ان رسول الله (ص) قال: "ان عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي". وليس "خليفتي وقائم مقامي من بعدي". وقد اعترف الخوئي بضعف سندها فقال: "وهذه الرواية على تقدير تمامية سندها".

وكما رأينا فان هذه الرواية تتحدث عن الامام علي فقط ولا تتحدث عن بقية الأئمة أو نظرية الامامة كما حاول الخوئي أن يستفيد منها بقوله: "وممّا يدلّ على ثبوت هذه الولاية لهم (ع)".

ف3 حديث العترة أو الثقلين

واضافة الى استدلال الخوئي بحديث الغدير، استند في بناء عقيدة الامامة، أيضا على (حديث الثقلين)، فنقل عن الترمذي الرواية التالية: عن زيد بن أرقم عن رسول الله (ص) أنه قال: "اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

والترمذي هو محمد بن عيسى بن سَوْرة (209 هـ -279هـ) مصنّف كتاب (الجامع) المعروف (بسنن الترمذي) وهو من محدثي أهل السنة، وقد اتخذ الخوئي حديثه هذا – كما يبدو - حجة لأن الترمذي سني مخالف ويشهد على فضل العترة.

واعتبر الخوئي في (ارجوزته): (حديث الثقلين) مشهورا و واضح الدلالة على نظرية الامامة في أهل البيت، وأن الامام علي عديل القرآن، :

إنّ حَديثَ الثَقلَين مُشْتَهَرْ شاعَ بِهِ فَضْلُ عَليٍّ و ظَهَر

فَهْوَ عديلٌ لِلكتابِ المُنْزَلِ و كُلُّ مَنْ تابَعَهُ لَمْ يَضْلَلِ

فَهَلْ تَرى كانَ الحديث مُجْمَلا؟ ذي فِكْرَةٌ مِنْ عاقِلٍ لَنْ تُقْبَلا

بلِ الحَديثُ واضِحُ الدّلالَة بِنَصْبِ أهْلِ البَيْتِ و الرّسالَة

واعتبر الخوئي حديث (الثقلين) أساسا لعقيدة (الامامة الإلهية) وقال في (البيان): "العترة هم الأدلاء على القرآن، والعالمون بفضله، فمن الواجب أن نقتصر على أقوالهم، ونستضئ بارشاداتهم". وأضاف: " لو أقامت الأمة حدود القرآن، واتبعت مواقع اشاراته وارشاداته، لعرفت الحق وأهله، وعرفت حق العترة الطاهرة الذين جعلهم النبي (ص) قرناء الكتاب، وانهم الخليفة الثانية على

الأمة من بعده". وقال: ان في بعض نصوص حديث الثقلين تصريح بأن القرآن والعترة خليفتا الرسول (ص).

ما هي دلالة حديث العترة أو الثقلين على الامامة؟

وكما رأينا في ما سبق، فقد استند الخوئي في بناء عقيدة الامامة، أيضا على (حديث الثقلين)، أو (العترة) فاعتبر في (ارجوزته): (حديث الثقلين) مشهورا واضح الدلالة على نظرية الامامة في أهل البيت، وأن الامام علي عديل القرآن.

ولم يتوقف عند الحديثين (الثقلين) ومضمونه بدقة، كما لم يتوقف في (حديث الغدير) ولم يتساءل: من هم العترة؟ ومن هم أهل البيت؟ أو يخوض في التفاصيل، كالبحث في كيفية انتقال الامامة من واحد الى آخر، بالنص أو الوصية أو الكبر أو المعاجز؟ وكذلك سبب حصر الامامة في ذرية الحسين دون ذرية الحسن.

واعتمد كثيرا على حديث الترمذي، وهو محمد بن عيسى بن سَوْرة (209 هـ -279هـ) مصنّف كتاب (الجامع) المعروف (بسنن الترمذي) وهو من محدثي أهل السنة، وقد اتخذ الخوئي حديثه هذا – كما يبدو - حجة لأن الترمذي سني مخالف ويشهد على فضل العترة. ولذلك لم يبحث كثيرا في سند الحديث ولا نصه الأصلي الدقيق، ولم يقم بمقارنته بالنسخ الأخرى التي رواها السنة والشيعة، كما لم يتوقف كثيرا في تعريف (العترة) و (أهل البيت) فضلا عن معنى المطابقة والمفارقة بين الكتاب والعترة، ومدى حجية الحديث.

ومن المعلوم أن مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261 هـ) الذي سبق الترمذي، قد روى الحديث في (صحيحه) عن نفس الراوي (زيد بن أرقم) ولكن بصيغة أخرى هي هكذا: "قام رسول الله (ص) يوماً خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...".

وقد روى الشيخ المفيد نسخته الأولى، فقال:

"أخبرني أبو حفص عمر بن محمد بن علي الصيرفي، قال: حدثنا جعفر بن محمد الحسيني، قال حدثنا عيسى بن مهران،، قال أخبرنا يونس بن محمد، قال حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل، قال اخبرني عبد الرحمن بن خلاد الانصاري، عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قال : إن علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس دخلوا على رسول الله (ص) في مرضه الذي قبض فيه... فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر ثم قال: "... ألا اني لاحق بربي، وقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله تعالى بين أظهركم، تقرؤونه صباحا ومساء فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا اخوانا كما أمركم الله. وقد خلفت فيكم عترتي أهل بيتي، وأنا أوصيكم بهم ثم أوصيكم بهذا الحي من الأنصار، فقد عرفتم بلاهم عند الله عز وجل وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسعوا في الديار ويشاطروا الثمار ويؤثروا وبهم الخصاصة، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار وليتجاوز عن مسيئهم".

وهذه الصيغة الشيعية التي تتفق تقريبا مع رواية مسلم، تختلف كثيرا عن صيغة الترمذي، التي يتشبث بها الخوئي، فهي لا تقرن العترة بالقرآن (وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) ولا تجعل العترة عدل القرآن ولا مصدرا ثانيا من مصادر التشريع، كما لا تتضمن حديثا عن الامامة والخلافة، وإنما تتوجه الى عامة المسلمين بالاهتمام بالعترة وأهل بيت النبي، والأنصار.

وهناك رواية أخرى مشابهة تخلو تماما من الحديث عن العترة وأهل البيت، يرويها المفيد ... عن ابي بصير عن ابي جعفر الباقر: قال: لما حضر النبي الوفاة... قال للمسلمين وهم مجتمعين حوله: أيها الناس انه لا نبي بعدي، ولا سنة بعد سنتي، فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته في النار، ومن ادعى ذلك فاقتلوه، ومن اتبعه، فانهم في النار. أيها الناس أحيوا القصاص واحيوا الحق، ولا تفرقوا، واسلموا وسلموا تسلموا، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، ان الله قوي عزيز".

وقد تطورت بعد ذلك الى الرواية المشهورة "إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي". التي اشتهرت في القرن الثاني الهجري، واعتمد عليها الهاشميون (والعباسيون) في بناء شرعيتهم السياسية الدينية، مقابل الأمويين، ولكنها لم تصبح متواترة، وظلت كما هي (خبر آحاد) لا يحتوي على معنى سياسي، وانما يقتصر على الحب والمودة.

والرواية المتطورة كما ينقلها الشيخ المفيد هكذا: "... عن معروف بن خربوذ قال سمعت أبا عبيد الله مولى العباس يحدث أبا جعفر، قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول: ان آخر خطبة خطبنا بها رسول الله (ص) في مرضه الذي توفي فيه، خرج متوكأ على علي بن ابي طالب وميمونة مولاته، فجلس على المنبر، ثم قال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، وسكت فقام رجل فقال: ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى أحمر وجهه ثم سكن، وقال: ما ذكرتهما الا وأنا اريد أن أخبركم بهما، ولكن ربوت فلم استطع، سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم تعملون فيه كذا وكذا، ألا وهو القرآن، والثقل الأصغر أهل بيتي، ثم قال: والله لا يحبهم عبد الا أعطاه الله نورا يوم القيامة حتى يرد علي الحوض، ولا يبغضهم عبد الا احتجب الله عنه يوم القيامة".

ومع فرض صحة الرواية فان السؤال المهم هو: من هم العترة؟ ومن هم أهل البيت؟ وما دلالتها؟

يقول الشيخ المفيد: "إن جميع بني هاشم عترة النبي وأهل بيته بلا اختلاف". ولذلك لم يعتمد على هذا الحديث في بناء عقيدته في الامامة، وقال: " هذا الخبر بأن يكون حجة لمن جعل الامامة في جميع بني هاشم أولى من أن يكون حجة لمن جعلها في ولد فاطمة، لكنا لا نعتمد على ذلك ولا نجعله أصلا لنا في الحجة".

وبالرغم من أن هذا الحديث (الوصية) لا يحدد من هم "أهل البيت" ولا يجعلهم أئمة للمسلمين الى يوم القيامة، فان الخوئي يعتبره دليلا واضحا على الامامة.

وعلى فرض دلالة حديث (العترة) على الامامة، فانه لا يدل على حصر الامامة في أبناء الحسين، ولا على بقية الأئمة الاثني عشر. ولذلك جادل الزيدية الامامية وقالوا: "تفضيلكم من سميتموه من ولد الحسين على ولد الحسن صادر عن هوى وعصبية، والا فهاتوا عليه برهانا". و "ما نعرف هذه النصوص التي تدعونها، ولا يصح عندنا ولا تثبت، فدلوا على حقكم فيها".

ووصف الزيدية الخبر الذي يرويه الامامية عن النبي الأكرم أنه قال: " ان الله اختارني نبيا واختار عليا لي وصيا، واختار الحسن والحسين وتسعة من أولاد الحسين أوصياء، الى أن تقوم الساعة". بأنه خرافة وخبر موضوع. وتساءلوا: كيف يثبت اخباركم في النص على ولد الحسين، وهي غير معروفة عند ولد الحسن، اللهم الا ان تحكموا عليهم من دعوى الامامة لأنفسهم بالعناد.

ومما يؤكد عدم دلالة (حديث العترة) على الامامة، هو قول العباس للامام علي في مرض رسول الله(ص): " أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، والله إني لأرى رسول الله (ص) سيتوفى في وجعه، وإني لأعرف في وجوه بني عبد المطلب الموت، فاذهب بنا الى رسول الله فنسأله فيمن يكون الأمر؟ فان كان فينا علمنا ذلك، وان كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا. أي ابن اخ ادخل معي الى النبي فاسأله عن الأمر من بعده، هل هو فينا؟ فتطمئن قلوبنا له، أم هو في غيرنا فيوصي بنا؟" ولكن الامام علي رفض القيام بسؤال النبي عن ذلك، وقال للعباس: "والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدا، وإني لا اسألها رسول الله أبدا". (البخاري رقم 6266 باب المعانقة) فدخلا عليه فسأله العباس عن ذلك فلم يجبه هل هو فيهم أو في غيرهم بل قال لهم:" على رسلكم معشر بن هاشم، ثم أنتم المظلومون وأنتم المقهورون".

وعندما توفي رسول الله (ص) بادر العباس بن عبد المطلب، وقال للامام علي: "أمدد يدك يا ابن أخ أبايعك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن أخيه فلا يختلف عليك اثنان". فقال علي: "وأحدٌ؟" يعني يطمع فيه غيرنا، فقال العباس: أظن والله سيكون.

وقد رفض الامام علي الاستجابة لعمه العباس، كما رفض عرض أبي سفيان بأن يقلب الأمور على أبي بكر الذي بويع في السقيفة، ويجلب عليه الخيل

والرجال، وذلك عندما جاء الى باب داره ونادى:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي

فما الأمر الا فيكم واليكم وليس لها الا أبو الحسن علي

أبا حسن فاشدد بها كف حازم فانك بالأمر الذي يرتجى ملي

ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم يا بني عبد مناف أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل الرذل بن الرذل؟ أما والله لئن شئتم لأملأنها خيلا ورجلا.

فناداه الامام علي: "ارجع يا أبا سفيان، فوالله ما تريد الله بما تقول، وما زلت تكيد الإسلام وأهله، ونحن مشاغيل برسول الله، وعلى كل امرئ ما اكتسب وهو ولي ما احتقب".

وهكذا لم يدع الامام علي أحدا الى نفسه منذ أول يوم، كما يقول الامام محمد الباقر، في رواية ينقلها الكليني في (الكافي) وإنه أقر القوم على ما صنعوا وكتم أمره. وهذا مما يدل على عدم معرفة الامام علي نفسه فضلا عن بقية الصحابة بوجود نص عليه بالخلافة، سواء في حديث الغدير، أو حديث الثقلين.

ولكن الخوئي يستخدم ذينك الحديثين الضعيفين ليجعل منهما دليلا على الامامة.

ب5 ف4 **آية الإنذار وحديث الدار**

واضافة الى ذينك الحديثين (الغدير والثقلين)، أشار الخوئي في (أرجوزته) الى آية الإنذار "وأنذر عشيرتك الأقربين". (الشعراء 214) وما يقال عن إعلان النبي خلافة الامام علي له في أوائل البعثة، في (حديث الدار) فاعتبره أيضا دليلا على الامامة، حيث قال:

" إنّ النبيّ قَدْ دعا عَشِيرَتَه لِيُسْلِموا و يَقْبَلوا نصيحتَه

لكنّهم قَدْ أنكَرُوا نُبوَّتهْ غَيرُ عليٍ لم يُلبِّ دعوتَه

وَبَعْدَها قامَ النبيُّ هاديا الى سبيلِ الحقِّ يَدعو ثانيا

فَلَمْ يَجِدْ غَيرَ العَنيدِ الجاحِدِ إلا عَليّا مفخرَ الاماجدِ

ثالثةً قامَ بِنشْرِ دَعْوَته يدعوهُم الى إتَباع سِيرته

فَكَذّبوه رافِضينَ دَعوته قَد جَحَدوا لَمْ يَقْبلُوا نَصيحَتَه

رَمَوْه بالسَحْرِ و قالُوا ساحِرُ أو أنّه ذُو جِنّةٍ أو شاعرُ

كان عليٌ فيهمُ مُلَبّيا وَ لَيْسَ فيهِم مَنْ يَكونُ ثانيا

قالَ النّبيُ ذا عليٌّ وارِثي قاضٍ لدَيْني كاشِفُ الكَوارثِ

خَليفَتي مِنْ بَعْدِ مَوتي للورى طاعَتُهُ فرضٌ على أهلِ الثرى

فَقالَ مِنْهم حاقِدٌ و ساخِرُ يا والدَ الفتى لَكَ المَفاخِرُ

إبنُكَ هذا واجِبُ الاطاعة أطِعْهُ كَيْ تنالَك الشَّفاعة"

والخوئي هنا يشير الى الحادثة التي رواها محمد بن إسحاق (80- 151هـ) في (السيرة النبوية) ونقلها عنه الطبري (224 – 310هـ) في تفسيره، قائلا:

" ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن عليّ بن أبي طالب: لما نـزلت هذه الآية على رسول الله (ص): "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" دعاني رسول الله (ص) فقال لي: " يا عليُّ، إنَّ الله أمَرَنِي أنْ أُنْذِرْ عَشِيرَتِي الأقْرَبِين، فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنى متى ما أنادهم بهذا الأمر أَرَ منهم ما أكره, فصمتُّ، حتى جاء جبرائيل فقال: "يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربك". فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به " ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب. فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلما وضعته تناول رسول الله (ص) حِذْية من اللحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة، قال:"خذوا باسم الله " فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم; وايم الله

الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال:"اسْقِ النَّاسَ" فجِئْتُهُمْ بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله; فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لَهَدَّ ما سحركم به صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال:"الغد يا عليّ، إن هَذَا الرَّجُل قدْ سَبَقَنِي إلى ما قَدْ سَمِعْتَ مِنَ القَوْلِ، فَتفرّق القوم قبلَ أنْ أُكَلِّمَهُمْ فأعِدَّ لَنا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ، ثُمَّ اجْمَعْهُمْ لِي" قال: ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، قال:"اسقهم " فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، ثم تكلم رسول الله (ص) فقال:"يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ, إنِّي والله ما أعْلَمُ شابا فِي العَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بأفْضَلَ ممَّا جئْتُكُمْ بِهِ، إنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَقَدْ أمَرَنِي الله أنْ أدْعُوكُمْ إلَيْهِ، فَأيُّكُمْ يُؤَازِرُني عَلى هَذَا الأمْرِ، عَلى أنْ يَكُونَ أخِي" وكَذَا وكَذَا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقلت وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأخمشهم ساقا. أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال:"إن هذا أخي" وكذا وكذا, " فاسمعوا له وأطيعوا " قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!.

مناقشة دلالة آية الإنذار وحديث الدار على الامامة

ان أول ملاحظة على (حديث الدار) الذي يرويه محمد بن إسحاق (80-151هـ) في (السيرة النبوية) في منتصف القرن الثاني الهجري، هي روايته عن مجهول (استكتمني اسمه) عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب... وبالتالي فانه خبر واحد عن مجهول، لا يصح الاعتماد عليه في بناء عقيدة دينية سياسية كعقيدة الامامة.

وقد روى القصة أيضا محمد بن علي بن بابويه الصدوق (-381هـ) في القرن الرابع الهجري، مع تغيير في السند والمضمون، إذ لم يروها عن ابن عباس، ولم يذكر قيام علي باعداد الطعام، ولا اعتراض أبي لهب على النبي واتهامه بالسحر، واكتفى بقول النبي بعد الانتهاء من تناول الطعام: "... فأيكم يبايعني على أنه أخي ووارثي ووصيي؟ فقمت إليه وكنت أصغر القوم وقلت أنا، قال اجلس، ثم قال ذلك ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس، حتى كان في الثالثة: فضرب بيده على يدي فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

وفي رواية أخرى خالية من ذكر الطعام... عن علي بن أبي طالب (ع) قال: لما نزلت "وانذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين" دعا رسول الله (ص) بنى عبد المطلب وهم إذ ذاك أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فقال: أيكم يكون أخي ووصيي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم ذلك رجلا رجلا كلهم يأبى ذلك حتى أتى علي فقلت: انا يا رسول الله، فقال يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي، فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض ويقولون لأبي طالب: قد امرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام".

وقد أشار الطوسي (ت 460) في (التبيان) الى القصة باختصار، فقال: "روي أنه أمر (ص) عليا بأن يصنع طعاما ثم دعا عليه بني عبد مناف وأطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرني على هذا الامر يكن وزيري وأخي ووصيي، فلم يجبه أحد إلا علي (ع) ".

وأما الطبرسي الفضل بن الحسن (ت 548) ، فيروي القصة في القرن السادس، مرسلا (في الخبر المأثور عن البراء بن عازب) كما جاء في (السيرة النبوية) لابن إسحاق والطبري. ويرويها مرة أخرى عن أبي رافع ، ويقول في آخرها: " فقام علي (ع) فبايعه، وأجابه، ثم قال: أدن مني. فدنا منه، ففتح فاه، ومج في فيه من ريقه، وتفل بين كتفيه وثدييه، فقال أبو لهب: فبئس ما حبوت به ابن عمك أن أجابك، فملأت فاه ووجهه بزاقا! فقال (ص): ملأته حكمة وعلما".

واذا راجعنا كتب الحديث والتاريخ الأخرى فانها تنقل نصوصا أخرى تزيد أو تنقص، وكلها بالطبع روايات مرسلة في القرون المتأخرة عما حدث في بداية البعثة النبوية الشريفة، وهي تخالف رواية البخاري المسندة والمعقولة: حدثنا عمر بن حفص بن غياث: حدثنا أبي: حدثنا الأعمش قال: حدثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: "وأنذر عشيرتك الأقربين". صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي". قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب: تبا لك سائر

اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت: "تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب".

البخاري:4492

وان مما يضعف رواية ابن إسحاق متنا، الملاحظات التالية:

الأولى: الطعام والشراب القليل الذي أكل منه القوم (40 رجلا) ولم ينقص منه شيء، مما دفع أبا لهب لاتهام النبي بالسحر، وابطال دعوته. وقد كان مشركو مكة يطالبون النبي الأكرم خلال السنوات التي قضاها بينهم ان يأتي بمعجزة تثبت نبوته، كما تصرح بذلك آيات عديدة، مثل: "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه، قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا". (الاسراء 48) وكان النبي يرفض ويقول لهم: "هل كنت الا بشرا رسولا". فكيف يقوم النبي في بدء دعوته بعمل "معجزة" تشبه السحر وتترك أثرا سلبيا في نفوس القوم؟ وهل كان النبي بحاجة الى ذلك؟

الثانية: حرص النبي على تعيين الخليفة له، وأخذها من أبناء عشيرته قبل اسلامهم.

الثالثة:اعلان النبي أن الشاب الصغير علي هو وصيه وخليفته ووليهم بعده، وهم بعد لم يسلموا.

الرابعة: عدم إشارة النبي اليها في وصيته الأخيرة للامام علي في آخر أيام حياته. وقد كانت وصية عادية بقضاء الديون ورعاية الاهل.

الخامسة: عدم اهتمام النبي بأمر الخلافة والامامة، طول حياته، ولا سيما بعد سؤال العباس منه عن ذلك.

السادسة: عدم إشارة أي إمام من أئمة أهل البيت كالباقر والصادق اليها.

السابعة: عدم ذكر مؤسس المذهب الاثني عشري الشيخ المفيد لقصة الوليمة يوم الدار، فضلا عن الاعتماد عليها، واعترافه: بان النصوص التي يرويها الامامية أخبار آحاد.

ان هذه أسئلة معقولة تتبادر الى ذهن أي باحث موضوعي محايد، يقوم أولا ببحث السند، ثم يقوم ثانيا بدراسة المتن، ولكن الخوئي يغفل عن كل ذلك ويتلقى رواية (الوليمة) بدون بحث ولا نقاش .

ب5 ف4 **آية الإنذار وحديث الدار**

واضافة الى ذينك الحديثين (الغدير والثقلين)، أشار الخوئي في (أرجوزته) الى آية الإنذار "وأنذر عشيرتك الأقربين". (الشعراء 214) وما يقال عن إعلان النبي خلافة الامام علي له في أوائل البعثة، في (حديث الدار) فاعتبره أيضا دليلا على الامامة، حيث قال:

" إنّ النبيّ قَدْ دعا عَشِيرَتَه لِيُسْلِموا و يَقْبَلوا نصيحتَه

لكنّهم قَدْ أنكَرُوا نُبوَّتهْ غَيرُ عليٍ لم يُلبِّ دعوتَه

وَبَعْدَها قامَ النبيُّ هاديا الى سبيلِ الحقِّ يَدعو ثانيا

فَلَمْ يَجِدْ غَيرَ العَنيدِ الجاحِدِ إلا عَليّا مفخرَ الاماجِدِ

ثالثةً قامَ بِنشْرِ دَعْوَته يدعوهُم الى إتَباع سِيرته

فَكَذّبوه رافِضينَ دَعوته قَد جَحَدوا لَمْ يَقْبلُوا نَصيحَتَه

رَمَوْه بالسَحْرِ و قالُوا ساحِرُ أو أنّه ذُو جِنّةٍ أو شاعرُ

كان عليٌ فيهمُ مُلَبّيا وَ لَيْسَ فيهِم مَنْ يَكونُ ثانيا

قالَ النّبيُ ذا عليٌّ وارِثي قاضٍ لدَيْني كاشِفُ الكَوارثِ

خَليفَتي مِنْ بَعْدِ مَوتي للورى طاعَتُهُ فرضٌ على أهلِ الثرى

فَقالَ مِنْهم حاقِدٌ و ساخِرُ يا والدَ الفتى لَكَ المَفاخِرُ

إبنُكَ هذا واجِبُ الاطاعة أطِعْهُ كَيْ تنالَك الشَّفاعة"

والخوئي هنا يشير الى الحادثة التي رواها محمد بن إسحاق (80- 151هـ) في (السيرة النبوية) ونقلها عنه الطبري (224 – 310هـ) في تفسيره، قائلا:

" ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن عليّ بن أبي طالب: لما نـزلت هذه الآية على رسول الله (ص): "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ" دعاني رسول الله (ص) فقال لي: " يا عليُّ، إنَّ الله أمَرَنِي أنْ أُنْذِرْ عَشِيرَتِي الأقْرَبِين، فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنى متى ما أنادهم بهذا الأمر أَرَ منهم ما أكره, فصمتُّ، حتى جاء جبرائيل فقال: "يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربك". فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به " ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب. فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلما وضعته تناول رسول الله (ص) حِذْية من اللحم فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة، قال:"خذوا باسم الله " فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم; وايم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال:"اسْقِ النَّاسَ" فجِئْتُهُمْ بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله; فلما أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لَهَدَّ ما سحركم به صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال:"الغد يا عليّ، إن هَذَا الرَّجُل قدْ سَبَقَنِي إلى ما قَدْ سَمِعْتَ مِنَ القَوْلِ، فَتفرّق القوم قبلَ أنْ أُكَلِّمَهُمْ فأعِدَّ لَنا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ، ثُمَّ اجْمَعْهُمْ لِي" قال: ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، قال:"اسقهم " فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعًا، ثم تكلم رسول الله (ص) فقال:"يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ, إنِّي والله ما أعْلَمُ شابا فِي العَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بأفْضَلَ ممَّا جئْتُكُمْ

بِهِ، إنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَقَدْ أمَرَنِي الله أنْ أدْعُوكُمْ إلَيْهِ، فَأيُّكُمْ يُؤَازِرُني عَلى هَذَا الأمْرِ، عَلى أنْ يَكُونَ أخِي" وكَذَا وكَذَا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقلت وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأخمشهم ساقا. أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال:"إن هذا أخي" وكذا وكذا, " فاسمعوا له وأطيعوا " قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع!.

مناقشة دلالة آية الإنذار وحديث الدار على الامامة

ان أول ملاحظة على (حديث الدار) الذي يرويه محمد بن إسحاق (80-151هـ) في (السيرة النبوية) في منتصف القرن الثاني الهجري، هي روايته عن مجهول (استكتمني اسمه) عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب... وبالتالي فانه خبر واحد عن مجهول، لا يصح الاعتماد عليه في بناء عقيدة دينية سياسية كعقيدة الامامة.

وقد روى القصة أيضا محمد بن علي بن بابويه الصدوق (-381هـ) في القرن الرابع الهجري، مع تغيير في السند والمضمون، إذ لم يروها عن ابن عباس، ولم يذكر قيام علي باعداد الطعام، ولا اعتراض أبي لهب على النبي واتهامه بالسحر، واكتفى بقول النبي بعد الانتهاء من تناول الطعام: "... فأيكم يبايعني على أنه أخي ووارثي ووصيي؟ فقمت إليه وكنت أصغر القوم وقلت أنا، قال اجلس، ثم قال ذلك ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس، حتى كان في الثالثة: فضرب بيده على يدي فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

وفي رواية أخرى خالية من ذكر الطعام... عن علي بن أبي طالب (ع) قال: لما نزلت "وانذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين" دعا رسول الله (ص) بنى عبد المطلب وهم إذ ذاك أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فقال: أيكم يكون أخي ووصيي ووارثي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم ذلك رجلا رجلا كلهم يأبى ذلك حتى أتى علي فقلت: انا يا رسول الله، فقال يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم بعدي، فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض ويقولون لأبي طالب: قد امرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام".

وقد أشار الطوسي (ت 460) في (التبيان) الى القصة باختصار، فقال: "روي أنه أمر (ص) عليا بأن يصنع طعاما ثم دعا عليه بني عبد مناف وأطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرني على هذا الامر يكن وزيري وأخي ووصيي، فلم يجبه أحد إلا علي (ع) ".

وأما الطبرسي الفضل بن الحسن (ت 548) ، فيروي القصة في القرن السادس، مرسلا (في الخبر المأثور عن البراء بن عازب) كما جاء في (السيرة النبوية) لابن إسحاق والطبري. ويرويها مرة أخرى عن أبي رافع ، ويقول في آخرها: " فقام علي (ع) فبايعه، وأجابه، ثم قال: أدن مني. فدنا منه، ففتح فاه، ومج في فيه من ريقه، وتفل بين كتفيه وثدييه، فقال أبو لهب: فبئس ما حبوت به ابن عمك أن أجابك، فملأت فاه ووجهه بزاقا! فقال (ص): ملأته حكمة وعلما".

واذا راجعنا كتب الحديث والتاريخ الأخرى فانها تنقل نصوصا أخرى تزيد أو تنقص، وكلها بالطبع روايات مرسلة في القرون المتأخرة عما حدث في بداية البعثة النبوية الشريفة، وهي تخالف رواية البخاري المسندة والمعقولة: حدثنا عمر بن حفص بن غياث: حدثنا أبي: حدثنا الأعمش قال: حدثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: "وأنذر عشيرتك الأقربين". صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي". قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا، فنزلت: "تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب".

البخاري:4492

وان مما يضعف رواية ابن إسحاق متنا، الملاحظات التالية:

الأولى: الطعام والشراب القليل الذي أكل منه القوم (40 رجلا) ولم ينقص منه شيء، مما دفع أبا لهب لاتهام النبي بالسحر، وابطال دعوته. وقد كان مشركو مكة يطالبون النبي الأكرم خلال السنوات التي قضاها بينهم ان يأتي بمعجزة تثبت نبوته، كما تصرح بذلك آيات عديدة، مثل: "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه، قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا". (الاسراء 48) وكان النبي يرفض ويقول لهم: "هل كنت الا بشرا رسولا". فكيف يقوم النبي في بدء دعوته بعمل "معجزة" تشبه السحر وتترك أثرا سلبيا في نفوس القوم؟ وهل كان النبي بحاجة الى ذلك؟

الثانية: حرص النبي على تعيين الخليفة له، وأخذها من أبناء عشيرته قبل اسلامهم.

الثالثة:اعلان النبي أن الشاب الصغير علي هو وصيه وخليفته ووليهم بعده، وهم بعد لم يسلموا.

الرابعة: عدم إشارة النبي اليها في وصيته الأخيرة للامام علي في آخر أيام حياته. وقد كانت وصية عادية بقضاء الديون ورعاية الاهل.

الخامسة: عدم اهتمام النبي بأمر الخلافة والامامة، طول حياته، ولا سيما بعد سؤال العباس منه عن ذلك.

السادسة: عدم إشارة أي إمام من أئمة أهل البيت كالباقر والصادق اليها.

السابعة: عدم ذكر مؤسس المذهب الاثني عشري الشيخ المفيد لقصة الوليمة يوم الدار، فضلا عن الاعتماد عليها، واعترافه: بان النصوص التي يرويها الامامية أخبار آحاد.

ان هذه أسئلة معقولة تتبادر الى ذهن أي باحث موضوعي محايد، يقوم أولا ببحث السند، ثم يقوم ثانيا بدراسة المتن، ولكن الخوئي يغفل عن كل ذلك ويتلقى رواية (الوليمة) بدون بحث ولا نقاش .

ف 6 نظرية الامامة الأولى المستمرة الى يوم القيامة

تحدثنا في الفصول الماضية عن محاولة الخوئي اثبات امامة علي بن أبي طالب، بآيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية مثل حديث الغدير وحديث العترة أو الثقلين، وحديث الإنذار والمنزلة، وما شابه. وكانت تلك المحاولة مقدمة لإثبات الامامة في (أهل البيت).

والسؤال الآن: كيف أثبت الخوئي نظرية الامامة بصورة عامة؟ وكيف أثبت امامة كل واحد من الأئمة من أبناء الامام علي؟ وكيف توصل الى حصر الامامة في أبناء الحسين دون الحسن؟ وما هو المنهج الذي اتبعه في إثبات كل ذلك؟ هل اعتمد على القرآن؟ أو السنة النبوية؟ أو العقل؟ أم ماذا؟

في الحقيقة لا يوجد بحث متكامل للخوئي حول الامامة - كما قلنا من قبل – وانما توجد لديه فقرات متناثرة هنا وهناك، وسأحاول تجميعها وترتيبها لتشكيل صورة ولو جزئية تجيب عن تلك الأسئلة المهمة.

وقد نقلنا قوله في بداية هذا الباب، حول امتداد الامامة للرسالة واكمالها للدين، وهو يتضمن استمرار الامامة الى يوم القيامة، وقد اعتمد في تبني هذه الفكرة، واستمرار الامامة في ذرية الامام علي، على رواية عن الامام محمد الباقر، في تأويل آية قرآنية هي: "ولكل قوم هاد" فقال: روى العياشي بإسناده عن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى: "ولكل قوم هاد" أنه قال: "علي، الهادي، ومنا الهادي، فقلت: فأنت جعلت فداك: الهادي؟ قال: صدقت ان القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين". وعن أبي عبد الله: " ان القرآن حي لم يمت، وانه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما

تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا". وفي تفسير الفرات: " ولو ان الآية اذا نزلت في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم آية يتلوها هم منها من خير أو شر". الى غير هذه من الروايات الواردة في المقام.

الخوئي، البيان، ص 22

وربما اعتمد الخوئي على الروايات المنسوبة للامام الباقر حول امتداد الامامة الى يوم القيامة، مثل: "واللّهّ ما ترك الأرض منذ قبض اللّهّ آدم الّا وفيها إمام يهتدى به الى اللّهّ وهو حجّة اللّهّ على عباده ولا تبقى الأرض بغير امام حجّة اللّهّ على عباده". و "ما كانت الأرض الّا وللّه فيها عالم". و " لا تبقى الأرض بغير امام ظاهر". وقال:" ليس تبقى الأرض يوما واحدا بغير حجّة للّه على النّاس و لم تبق منذ خلق اللّهّ جلّ وعزّ آدم (ع) وأسكنه الأرض". و"إنّ الأرض لن تخلو إلّا وفيها منّا عالم". و" إن اللّهّ لم يدع الأرض إلّا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان من دين اللّهّ عز وجلّ فإذا زاد المؤمنون شيئا ردّهم واذا نقصوا أكمله لهم، ولولا ذلك لا لتبس على المسلمين أمرهم". و" واللّهّ ما ترك اللّهّ أرضه منذ قبض اللّهّ آدم إلّا وفيها إمام يهتدى به الى اللّهّ وهو حجّته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة للّه على عباده". و"ما زالت الأرض الا ولله الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو إلى سبيل الله ولا ينقطع الحجة من الأرض الا أربعين يوما قبل يوم القيمة". وأن الأرض لا بد لها من امام، والا لساخت.

وورد عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر قال: " قال رسول الله (ص): من سره أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدنيها ربي... فليتولَّ علي بن أبي طالب (ع) وأوصياءه من بعده، فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال، ولا يخرجونكم من باب هدى ... وإني سألت ربي ألا يفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا علي الحوض ".

وهذا الحديث المشابه لحديث الثقلين المشهور يؤكد استمرار نظرية الامامة الى يوم القيامة (حتى يردا علي الحوض)

ويفهم من بعض الأحاديث المروية عن الامام محمد الباقر حول نزول الملائكة في ليلة القدر على الأئمة، ان الامامة مستمرة الى يوم القيامة، كما في هذا الحديث: "إن ليلة القدر في كل سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة

أمر السنة وإن لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله (ص)". و"لا بد لمن سواهم من أول يوم خلقت فيه الأرض **إلى آخر فناء الدنيا** أن تكون على أهل الأرض حجة ينزل ذلك في تلك الليلة إلى من أحب من عباده..".

وكما يلاحظ فان كل هذه الروايات تؤكد على ضرورة وجود الامام الرباني المعين من قبل الله لقيادة الأمة الإسلامية فقهيا وسياسيا، الى يوم القيامة، وعدم جواز انتخاب أو اتباع أي إمام آخر ليس من الله.

وقد روى الباقر حديثا عن رسول الله (ص) يقول فيه: "سَيَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مِنَ اللَّهِ يَقُومُونَ فِي النَّاسِ". وحصَر الباقر الإمامة في ذرية النبي. ونفى أن تكون الامامة في ولد جعفر أو العباس أو سائر بطون بني عبد المطلب. فضلا عن سائر الناس.

ثم حصر الباقر الامامة في ذرية الحسين "ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا، وإن هذه الآية جرت في ولد الحسين من بعده". واتهم أولاد الحسن الذين كانوا يدعون الامامة بأنهم ستسود وجوههم يوم القيامة، لادعائهم الامامة.

وقال: انّ الحسين دفع كتابا ملفوفا ووصيّة ظاهرة ووصيّة باطنة الى علي بن الحسين ثمّ صار ذلك إلينا... فيه واللّه جميع ما يحتاج إليه ولد آدم الى ان تفنى الدّنيا. وبالطبع لم يحدد الباقر الامامة في أثني عشر اماما فقط.

وقال أبوعبد الله: لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" فلا تكون بعد علي بن الحسين (ع) إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب، ثم هكذا أبدا.

وظهر جليا من خلال أقوال الامام الباقر: أن الامامة (أي الرئاسة والحكم) في نظره تنحصر في البيت الحسيني، بصورة وراثية، الى يوم القيامة، وأنها من الله، وبالتالي فلا يجوز لأي أحد أن يتصدى لها وقد "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً جَائِراً لَيْسَ مِنَ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً وَ لَأَعْفُوَنَّ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ فِي الْإِسْلَامِ أَطَاعَتْ إِمَاماً هَادِياً مِنَ اللَّهِ وَ إِنْ كَانَتِ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا ظَالِمَةً مُسِيئَةً".

وقال في تفسير قول الله عز وجل: " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة"؟ قال: من قال: إني إمام وليس بإمام، وإن كان علويا، وان كان فاطميا.

وقال أبو عبد الله (ع): من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر.

ف 7 الأئمة لا يعلمون بامامتهم من قبل

وكما يلاحظ فان كل هذه الاحاديث ترفض رفضا مطلقا أي نظام سياسي لا يخضع لإمام معين من قبل الله، حسب نظرية الامامة الإلهية.

ولأن نظرية الامامة في عهد الصادق، كانت ممتدة الى يوم القيامة، ولم تكن محددة بعدد معين، ولا توجد قائمة بأسماء الأئمة، فلم يكن الأئمة أنفسهم يعرفون خلفائهم، الا في آخر دقيقة تبقى من روح الأول. حيث يروي الصفار في (بصائر الدرجات) باب: ان الأئمة يعلمون الى من يوصون قبل وفاتهم مما يعلمهم الله ، حديثا عن الإمام الصادق يقول فيه:" ما مات عالم حتى يعلمه الله الى من يوصي" . ، كما يرويه الكليني في (الكافي) عنه أيضا: "لا يموت الإمام حتى يعلم مَن بعده فيوصي اليه". وهو ما يدل على عدم معرفة الأئمة، من قبلُ، بأسماء خلفائهم ، أو بوجود قائمة مسبقة بهم . وقد ذهب الصفار والصدوق والكليني ابعد من ذلك، فرووا عن أبى عبد الله الصادق ، انه قال: "ان الإمام اللاحق يعرف إمامته وينتهي اليه الأمر، في آخر دقيقة من حياة الأول".

ونتيجة لذلك فقد طُرحت عدة أسئلة في حياة أهل البيت ، وهي : كيف يعرف الإمام إمامته إذا مات أبوه بعيدا عنه في مدينة أخرى؟ وكيف يعرف انه إمام، إذا كان قد أوصى الى جماعة؟ أو لم يوصِ أبدا؟.. وكيف يعرف الناس أنه اصبح إماما؟.. خاصة إذا تنازع الاخوة الإمامة وادعى كل واحد منهم الوصية؟ كما حدث لعدد من الأئمة في التاريخ؟

ومن باب أولى لم يكن الشيعة يعرفون هوية الامام التالي، وكانوا يتوسلون لكل إمام ان يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد.

وكانوا يسألون الأئمة دائما عن الموقف الواجب اتخاذه عند وفاة أحد الأئمة. وفي هذا المجال ينقل الكليني وابن بابويه والعياشي حديثا عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبد الله، قال:" قلت له: إذا حدث للإمام حدث كيف يصنع الناس؟ قال: يكونوا كما قال الله تعالى " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ، لعلهم يحذرون" التوبة 112 ، قلت : فما حالهم ؟ .. قال: هم في عذر ما داموا في الطلب ، وهؤلاء الذين ينتظرونهم في عذر حتى يرجع اليهم أصحابهم" .

ويروي الكليني في (الكافي) حديثا طويلا ومهما جدا حول طبيعة نظرية الامامة في عهد الصادق، وطريقة انتقالها من واحد الى آخر، يقول: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن قال: حدثنا حماد، عن عبد الاعلى قال:

سألت أبا عبد الله (ع) عن قول العامة: إن رسول الله (ص) قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية؟

فقال: الحق والله،

قلت: فإن إماما هلك ورجل بخراسان لا يعلم من وصيه لم يسعه ذلك؟قال: لا يسعه، إن الامام إذا هلك وقعت حجة وصيه على من هو معه في البلد وحق النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم، إن الله عز وجل يقول: " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ".

قلت: فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم؟

قال: إن الله عز وجل يقول: " ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ".

قلت: فبلغ البلد بعضه فوجدك مغلقا عليك بابك، ومرخي عليك سترك، لا تدعوهم إلى نفسك ولا يكون من يدلهم عليك فبما يعرفون ذلك؟

قال: بكتاب الله المنزل.

قلت: فيقول الله عز وجل كيف؟

قال: أراك قد تكلمت في هذا قبل اليوم،

قلت: أجل،

قال فذكر ما أنزل الله في علي (ع) وما قال له رسول الله (ص) في حسن وحسين (ع) وما خص الله به عليا (ع) وما قال فيه رسول الله (ص) من وصيته إليه ونصبه إياه وما يصيبهم وإقرار الحسن والحسين بذلك و وصيته إلى

الحسن وتسليم الحسين له بقول الله: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله".

قلت فإن الناس تكلموا في أبي جعفر (ع) ويقولون: كيف تخطت من ولد أبيه من له مثل قرابته ومن هو أسن منه وقصرت عمن هو أصغر منه؟

فقال: يعرف صاحب هذا الامر بثلاث خصال لا تكون في غيره: هو أولى الناس بالذين قبله وهو وصيه، وعنده سلاح رسول الله (ص) ووصيته وذلك عندي، لا أنازع فيه،

قلت: إن ذلك مستور مخافة السلطان؟

قال: لا يكون في ستر إلا وله حجة ظاهرة، إن أبي استودعني ما هناك، فلما حضرته الوفاة قال: ادع لي شهودا فدعوت أربعة من قريش، فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر، قال: اكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه " يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون" و أوصى محمد بن علي إلى ابنه جعفر بن محمد وأمره أن يكفنه في برده الذي كان يصلي فيه الجمع وأن يعممه بعمامته وأن يربع قبره ويرفعه أربع أصابع، ثم يخلي عنه، فقال: اطووه، ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله، فقلت بعد ما انصرفوا: ما كان في هذا يا أبت أن تشهد عليه؟ فقال: إني كرهت أن تغلب وأن يقال: إنه لم يوص، فأردت أن تكون لك حجة فهو الذي إذا قدم الرجل البلد قال: من وصي فلان، قيل فلان.

قلت: فإن أشرك في الوصية؟

قال: تسألونه فإنه سيبين لكم.

وقال محمد بن مسلم:

قلت لأبي عبد الله (ع): أصلحك الله بلغنا شكواك وأشفقنا، فلو أعلمتنا أو علمتنا من؟

قال: إن عليا (ع) كان عالما والعلم يتوارث، فلا يهلك عالم إلا بقي من بعده من يعلم مثل علمه أو ما شاء الله،

قلت: أ فيسع الناس إذا مات العالم ألا يعرفوا الذي بعده؟

فقال: أما أهل هذه البلدة فلا - يعني المدينة - وأما غيرها من البلدان فبقدر مسيرهم، إن الله يقول: " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ". قلت: أرأيت من مات في ذلك

فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله، قال:

قلت: فإذا قدموا بأي شئ يعرفون صاحبهم؟

قال: يعطى السكينة والوقار والهيبة.

ونظرا لعدم وجود قائمة بأسماء الأئمة الاثني عشر، فقد أوصى الامام الصادق في البداية الى ابنه إسماعيل بالامامة، ولكنه توفي في حياته، فقال: " لقد بدا لله في إسماعيل". ثم لم يسم أحدا بعينه وقال: ان الامامة في الأكبر من ولدي ومن يجلس مجلسي.

وهكذا فقد جلس مجلسه بعد وفاته أكبر أولاده "عبد الله الأفطح" وادعى الوصية عنه، وأجمع الشيعة "الجعفرية" عليه.

ويؤكد التاريخ الشيعي بأن زرارة بن أعين (الذي كان من كبار تلامذة الباقر والصادق) لم يكن يعرف هوية خليفة الصادق، وذلك عندما سمع بوفاته، وهو على فراش الموت في الكوفة، فأرسل ابنه عبيد الله إلى المدينة لكي يستطلع له هوية الإمام الجديد، الا انه توفي قبل أن يعود ابنه من المدينة بالجواب، فوضع زرارة المصحف على صدره وقال:" اللهم اشهد إني اثبت من يقول بإمامته هذا الكتاب".

ويروي الكليني في (الكافي) في (باب ثبات الإمامة في الأعقاب وانها لا تعود في أخ ولا عم ولا غيرهما من القرابات) الحديث التالي عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، عن أبي عبد الله (ع) قال: لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن

والحسين أبدا، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" فلا تكون بعد علي بن الحسين (ع) إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب".

ف 8 كيف أثبت الخوئي إمامة بقية الأئمة؟

واعتمد أيضا على مجموعة من الروايات الصادرة عن الأئمة، في تأويل كلمة (أهل البيت) التي وردت في آية التطهير: "... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ". (الأحزاب، 33) لكي يفسرها بالأئمة الإثني عشر. وقال: "أما الروايات فهي **فوق حد الاحصاء**، كما ورد في وجوب إطاعتهم (عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله (ع): نحن قوم فرض الله طاعتنا – الحديث. وفي عدة موارد من زيارة الجامعة ذكر ذلك." ومما يدلّ على وجوب إطاعتهم أيضاً: ما ورد في نفي ما نسب إليهم من أنّهم قالوا "إنّ الناس عبيد لنا" حيث قال (ع): " لم أقل ذلك ولا سمعت من آبائي وإنّما الناس عبيد لنا في الاطاعة".

هل توجد نصوص على بقية الأئمة؟

ولكن السؤال : من هم أهل البيت؟ وكيف تثبت الامامة لكل واحد منهم؟ وهل نص الامام علي على ابنه الحسن أو الحسين؟ وهل كان النص واضحا وصريحا؟ ومعروفا لجميع المسلمين، أو للشيعة على الأقل؟

في الواقع.. لم يبحث الخوئي كيفية ثبوت واثبات الامامة لبقية الائمة كالحسن والحسين وعلي بن الحسين والأئمة من بعده كالباقر والصادق

والكاظم والرضا و...و... ولكنه قال بأن الأئمة (ع) كانوا معينين بأشخاصهم وان الله تعالى أخبر نبيه (ص) وبعض عباده بذلك، وان أسماءهم كانت مذكورة في مصحف الصديقة (ع) . ونقل الخوئي عن محمد بن علي الصدوق، بسنده عن أبي جعفر (ع) ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت على فاطمة (ع) ، و بين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء، فعددت اثني عشر، آخرهم القائم (عجل الله تعالى فرجه)، ثلاثة منهم محمد و أربعة منهم علي(ع) .

حديث الخضر

وقال: "قد روي: أن رجلا دخل على أمير المؤمنين (ع) وشهد بإمامة الأثني عشر بأسمائهم (ع) **وكان هو الخضر**، الا أنه لم يكن أمرا ظاهرا لعامة الناس حتى الشيعة، وانما كانوا يعلمون بأن الامام اللاحق بعد السابق هو ولده الأكبر اذا كان صالحا للامامة، وان الامامة لم تجتمع في اخوين الا في الحسنين (ع)، ولذا انتقلت الامامة الى الحسين (ع) من أمير المؤمنين لا من أخيه الحسن (ع) ولذا نقول في زيارته: السلام عليكم يا وراث علي أمير المؤمنين، ويا وصي أمير المؤمنين، وليس في زيارته السلام عليكم يا وارث الحسن، ولذا كان الحسين (ع) اماما في حياة أخيه الحسن غايته كان يلزم عليه متابعة الحسن لكبره.

وبالجملة هذه الكبرى الكلية – وهي ان الامامة تنتقل الى الولد الأكبر مع صلوحه – كانت ظاهرة عند أغلب الشيعة، ولم يكن بيان الامام تفصيلا لعامة الناس ممكنا للأئمة (ع) لابتلائهم بالتقية، بل كانوا يخفون كثيرا كما هو ظاهر".

وفسر الخوئي ظاهرة غموض هوية الأئمة عمد عامة الشيعة، وذهابهم الى بعض الأئمة بالخطأ، كذهابهم الى عبد الله الأفطح بعد الصادق، أو حتى حدوث البداء بعدد من الأئمة كاسماعيل بن جعفر، ومحمد بن علي الهادي، بالسرية التي كانت محيطة بهويات الأئمة الإثني عشر، نظرا للخوف وللظروف الصعبة التي كانوا يمرون بها، فقال: إن "الروايات **المتواترة** الواصلة الينا من طريق العامة والخاصة قد حددت الائمة (ع) بإثني عشر من ناحية العدد ولم تحددهم بأسمائهم (ع) واحدا بعد واحد حتى لا يمكن فرض الشك في الامام اللاحق بعد

رحلة الامام السابق، بل قد تقتضي المصلحة في ذلك الزمان اختفاءه والتستر عليه لدى الناس بل لدى أصحابهم (ع) **الا أصحاب السر لهم**، وقد اتفقت هذه القضية في غير هذا المورد، والله العالم". وذلك عندما سئل: لماذا ذهب عامة الشيعة الى الاعتقاد بامامة عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق، بعد وفاة أبيه؟ فقال: ان أسماء الأئمة لم تكن معروفة لدى جميع الشيعة.

وقوع البداء في حق بعض الأئمة

وقال الخوئي: "وأما البداء الثابت في حق بعض الأئمة (ع) – وأولهم الامام موسى بن جعفر (ع) بالإضافة الى إسماعيل بن الصادق، وثانيهم الجواد، وثالثهم الهادي، ورابعهم الحسن العسكري، كما هو وارد في زياراتهم - فتوضيح الحال فيه: **أن الأئمة (ع) كانوا معينين بأشخاصهم** ولم يكن العلم بهم من العلم المكنون، **بل أخبر الله تعالى نبيه (ص) وبعض عباده بذلك**، بل كانت أسماؤهم مذكورة في مصحف الصديقة (ع) ... الا **أنه لم يكن أمرا ظاهرا لعامة الناس حتى الشيعة**، وانما كانوا يعلمون بأن الامام اللاحق بعد السابق هو ولده الأكبر اذا كان صالحا للامامة... وبالجملة هذه الكبرى الكلية – وهي ان الامامة تنتقل الى الولد الأكبر مع صلوحه – كانت ظاهرة عند أغلب الشيعة، ولم يكن بيان الامام تفصيلا لعامة الناس ممكنا للأئمة (ع) لابتلائهم بالتقية، بل كانوا يخفون كثيرا كما هو ظاهر. ولهذه الكبرى كانت **الشيعة تتخيل** أن الامام بعد الصادق (ع) ولده إسماعيل لكبره وجلالة قدره، لعدم علمهم بموته، فاذا مات وتحققت في الخارج امامة موسى بن جعفر بدا لله بوجوده وتحققه بعد ما كان أمرا خفيا عند الناس فظهر لهم أيضا.

هذا معنى البداء بالإضافة الى مولانا موسى بن جعفر (ع)، وقد وقع نظيره في الامام الحسن العسكري (ع) بالإضافة الى السيد محمد (ع) فيجري فيه ما قدمناه، وأما البداء في أبي جعفر الجواد والهادي (ع) فيكون من جهة البداء الثابت في حق موسى بن جعفر، فان البداء في حقه بداء في حق أولاده أيضا بحسب الكبرى المتقدمة".

الخلاصة:

ويمكن تلخيص كلام الخوئي حول الامامة في النقاط التالية:

1. وجود (الهادي) ، ضروري في كل زمان، بعد النبي.
2. الهداة علي وأبناؤه.
3. الأئمة هم أهل البيت الوارد ذكرهم في القرآن.
4. يوجد نص من الله على الأئمة الاثني عشر. واخبر به النبي.
5. أسماء الأئمة مذكورة في مصحف فاطمة.
6. ذكر الله أسماء الأئمة في اللوح السماوي.
7. شهد الخضر بأسماء الأئمة في عهد الامام علي.
8. الأسماء لم تكن معروفة لجميع المسلمين أو الشيعة الا لأهل السر.
9. لم يتحدث الخوئي عن وسيلة المعاجز لإثبات الامامة لأحد من الأئمة.
10. لم يتحدث أيضا عن علم الأئمة بالغيب، لأثبات امامتهم.
11. وجوب طاعة الأئمة.
12. لا امامة في أخوين بعد الحسن والحسين.
13. الحسين ورث الامامة مباشرة من أبيه وليس من أخيه الحسن.
14. لا حاجة للاعجاز لاثبات الامامة لأحد منهم.
15. الشيعة كانوا يعلمون أن الامامة في الأكبر الصالح.
16. عدم إمكانية بيان هوية الامام اللاحق لعامة الشيعة بسبب التقية.
17. ذهاب بعض الشيعة الى الأئمة الخطأ كعبد الله الأفطح، نتيجة الغموض.
18. حدوث البداء في عدد من الأئمة كاسماعيل بن جعفر، ومحمد بن علي الهادي.
19. الشيعة كانت تتخيل ان إسماعيل سيكون اماما بعد الصادق.
20. الروايات المتواترة تحدد عدد الأئمة باثني عشر.
21. الروايات لا تحدد أسماء الأئمة واحدا بعد واحد.
22. الغموض كان يؤدي الى الشك في الامام اللاحق.
23. المصلحة كانت تقتضي إخفاء بعض الأئمة والتستر عليهم.

ف9 الرد على الخوئي في استدلاله على نظرية الامامة وامامة بقية الأئمة

يبني الخوئي نظريته في الامامة في ذرية الامام علي، على فلسفة تناقض ختم النبوة، وهي ضرورة وجود (الهادي) في كل زمان، منذ وفاة النبي محمد (ص) الى آخر يوم في الدنيا. وذلك بناء على تأويل تعسفي للقرآن مروي في التراث الامامي عن الامام محمد الباقر، والقول بأن الأئمة الهداة هم علي وأبناؤه، بلا دليل مستقل. وبغض النظر عن صحة السند، فانه بشكل دورا منطقيا باطلا يعتمد في نظرية الامامة على أحد الأئمة أي الباقر، في حين كان ينبغي أن يستعين بآية صريحة من القرآن، أو بحديث نبوي متواتر، وهو ما لم يقترب منه الخوئي.

ويلاحظ بوضوح أن الخوئي يعتمد تأويل بعض الكلمات في بعض الآيات، مثل كلمة (أهل البيت) في آية التطهير، التي يأولها بالأئمة الاثني عشر، بالرغم مما يتبادر الى الذهن لغويا هو معنى الزوجات وليس الذرية البعيدة، كما ورد في خطاب الملائكة لزوجة النبي إبراهيم (ع): "قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (73) "هود،

كما يعتمد على الأدعية والزيارات وكتب التفاسير والحديث الشيعية التي يضعفها علماء الرجال الشيعة كتفسير القمي، وفرات، والعياشي، والاحتجاج وبحار الأنوار، دون أن يبحث في قيمة هذه المصادر أو سند رواتها.

ويقول مرة بأن الله قد نص على أسماء الأئمة الاثني عشر، وأخبر النبي بذلك، كما أخبر السيدة فاطمة الزهراء، وأنزل اليها لوحا نورانيا بأسمائهم، وقد سجلته في مصحفها المعروف باسمها (مصحف فاطمة) وأن الخضر قد دخل المسجد في عهد الامام علي وشهد بأسمائهم. ولكنه يقول: بأن أسماء الأئمة لم تكن

معروفة لجميع المسلمين أو الشيعة، الا لأهل السر، الذين لم يعرفهم ولم يحدد عددهم.

ويزعم الخوئي وجود روايات متواترة تحدد عدد الأئمة باثني عشر، ولكنه يقول بأن تلك الروايات لا تحدد أسماءهم واحدا بعد واحد، وأن الغموض كان يحيط بهم ويؤدي الى الشك والجهل في الامام اللاحق.

ويدعي بأن المصلحة كانت تقتضي إخفاء بعض الأئمة والتستر عليهم.

ويقول: بأن الشيعة عبر التاريخ لم يكونوا يعرفون هوية الأئمة اللاحقين، بسبب التقية، ولكنهم كانوا يعلمون بأن الامامة في الأكبر الصالح، ثم يتراجع عن هذا القول، ويقول: ان الشيعة أخطأوا بالذهاب الى عبد الله الأفطح، بعد وفاة الصادق، نتيجة الغموض حول هوية الامام الجديد (موسى الكاظم).

ورغم أن الامام جعفر الصادق كان قد أشار في حياته الى ابنه إسماعيل كخليفة له، وعندما مات في حياته قال: "لقد بدا لله في إسماعيل" وهو ما أدى الى تمسك فريق من الشيعة بامامة إسماعيل وانكار وفاته،، وارتداد فريق آخر عن عقيدة الامامة، واتهام الامام الصادق بعدم العلم، وهم (السليمانية) أتباع سليمان بن جرير الرقي، فان الخوئي لا يعترف بوجود أي نص على إسماعيل، ويبرر اعتقاد الشيعة السابق بخلافة إسماعيل، بأنهم كانوا يتخيلون أن إسماعيل سيكون اماما بعد الصادق. ثم يعود الخوئي ليعترف بحدوث البداء في إسماعيل، وفي عدد آخر من الأئمة كمحمد بن علي الهادي، وهذا ما يؤكد النص المسبق على إسماعيل والأئمة الآخرين، خلافا لدعوى (التخيل) ولولا وجود النص لما كان ثمة أي مبرر للقول بالبداء.

ولا يلتفت الخوئي الى التناقض السافر بين دعوى النص الإلهي على أسماء الأئمة وتسجيلهم في (مصحف فاطمة) وإعلان الخضر عنهم أمام العامة في المسجد، وبين حدوث البداء في عدد من الأئمة، الذي يكشف عن عدم معرفة الأئمة الدقيقة بهوية خلقائهم، والوصية لبعضهم ووفاتهم في حياتهم، وهو ما يؤكده تاريخ الأئمة، وما ينقله الصفار في (بصائر الدرجات) من أن الأئمة لم يكونوا يعرفون اللاحق الا في آخر ساعة من حياتهم، كما لا يعرف الامام اللاحق امامة نفسه الا في آخر دقيقة من حياة السابق. وهو ما ينسف حكاية وجود القائمة المسبقة بأسماء الأئمة من قبل، ولا سيما ان نظرية الامامة لم تكن

محددة في القرون الأولى باثني عشر، وانما كانت مفتوحة وممتدة الى يوم القيامة. ولذلك فان الأئمة كانوا يوصون الى بعض أبنائهم فيموتون في حياتهم، ولم يكونوا يعرفون أي نص على أحد ولا أية قائمة معدة من قبل.

ان الخوئي لم يدرس تاريخ الأئمة جيدا، ولذلك صدق بروايات (الاثني عشرية) التي الفوها حول الأئمة في القرن الرابع الهجري، وأطلق عليها صفة (التواتر) جزافا، ومن دون دليل.

ولو عاد الخوئي لقراءة تاريخ الأئمة ولو بصورة خاطفة، لأدرك عدم معرفة الأئمة الأربعة الأوائل (علي والحسن والحسين وزين العابدين) بنظرية الامامة بالمرة، وعدم تحدثهم عنها مطلقا، وعدم وصيتهم بها لأحد من بعدهم. ولذلك وقع متكلمو الامامية في مشكلة وصل حبل الامامة بين زين العابدين ومحمد الباقر، مع اعترافهم بعدم وصية الحسين لابنه زين العابدين، واضطرارهم الى الاستعانة بحكاية (المعجزة) بدلا من النص، وهي معجزة تكلم الحجر الأسود، والسلام على زين العابدين بالامامة، حسب رواية ينقلها الامامية (الصفار والكليني والصدوق) عن الامام الصادق عن ابيه الباقر، أن محمد بن الحنفية طلب من زين العابدين بعد استشهاد الامام الحسين، ان يتبعه ويقول بامامته لأنه ابن الامام علي واخو الحسن والحسين، وعدم وجود أي نص عليه، فاقترح زين العبادين الذي لم يدع وجود أي نص عليه، الاحتكام للحجر الأسود، حلا للنزاع.

وبالطبع لم يأت أي أحد بأي دليل على حدوث هذه (المعجزة) الأسطورية، فعلا، ولم يحتج الخوئي لذكرها والاستشهاد بها، كما فعل مشايخ الامامية السابقون، لأنه اعتمد بدلا منها على أسطورة (اللوح النوراني) و(مصحف فاطمة) والخضر، والنص المسبق عليهم من الله.

وفي الحقيقة ان حدوث البداء والغموض الذي كان يحيط بأسماء الأئمة وهوايتهم، حتى لأقرب المقربين من أصحاب الأئمة كزرارة بن أعين تلميذ الباقر والصادق، الذي مات دون أن يعرف هوية الامام بعد الصادق، فطلب من ابنه عبيد الله أن يذهب للمدينة ويستطلع هوية الامام الجديد، فمات قبل أن يعود ابنه من المدينة، فوضع الكتاب على صدره وقال أنه يشهد بامامة من يثبت امامته الكتاب. ان هذا الغموض لم يكن بسبب التقية، وانما بسبب عدم وجود أساس لنظرية الامامة، التي ولدت في القرن الثاني الهجري، في زمن

الامام محمد الباقر، ولم يكن يعرف بها الامام زيد بن علي الذي ثار في الكوفة عام 122 للهجرة. كما لم يعرفها عامة الشيعة والعلويون الذين بايعوا الامام محمد بن عبد الله النفس الزكية، في مؤتمر الأبواء عام 125.

ولو كان الخوئي قد توقف عند ظاهرة (البداء) لأدرك عدم وجود نصوص مسبقة على الأئمة من الله، أو من الرسول، وان الأئمة أنفسهم لم يكونوا يعرفون أنفسهم ولا من يخلفهم من قبل. كما يروي الصفار عن أبي عبد الله (ع) قال: "ما مات عالم حتى يعلمه الله إلى من يوصي". وقيل لأبي عبد الله (ع): متى يعرف الأخير ما عند الأول؟ قال: "في آخر دقيقة تبقى من روحه".

وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (ع) قال: "لا يموت الامام حتى يعلم من يكون من بعده فيوصي إليه".

وبغض النظر عن صحة هذه الأحاديث التي يرويها الامامية، فانها تتضمن تسمية الأئمة لخلفائهم أحيانا بصورة اعتيادية، وليس استنادا على نص مسبق من الله، فيموتون قبلهم، فيقولون : "بدا لله". واذا كان الشيعة يتخيلون الامامة في هذا وذاك، ممن يموت قبل والده، لم يكن الأئمة بحاجة للقول بالبداء، وانما كانوا يوضحون لهم خطأ توهمهم. الا ان يكون الأئمة قد تحدثوا عن الله وان تعيين الخلف يتم من قبل الله.

ان الخوئي يتخبط في تفسير (البداء) فيعترف باستحالة حدوث البداء فيما أخبر الله به أنبياءه ورسله، كما يقول: "ان البداء الذي تقول به الشيعة الامامية انما يقع في القضاء غير المحتوم، أما المحتوم منه فلا يتخلف، ولا بد من أن تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء". و"ان عليا (ع) كان يقول: العلم علمان، فعلم علمه الله ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله فانه يكون، ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله". وقد "روى العياشي عن الفضيل قال سمعت أبا جعفر يقول: " من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، لم يطلع على ذلك

أحدا – يعني الموقوفة – فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه، ولا نبيه ولا ملائكته".

"وخلاصة القول: أن القضاء الحتمي المعبر عنه باللوح المحفوظ، وبأم الكتاب، والعلم المخزون عند الله يستحيل أن يقع فيه البداء، وكيف يتصور فيه البداء، وأن الله سبحانه عالم بجميع الأشياء منذ الأزل، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء". "أما ما وقع في كلمات المعصومين (ع) من الإنباء بالحوادث المستقبلة فتحقيق الحال فيها: ان المعصوم متى أخبر بوقوع أمر مستقبل على سبيل الحتم والجزم ودون تعليق، فذلك يدل أن ما أخبر به مما جرى به القضاء المحتوم، وهذا هو القسم الثاني "الحتمي" .

ولم يقل الخوئي هل ان تعيين أسماء الأئمة الاثني عشر من قبل في (مصحف فاطمة) هل هو من المحتوم المحفوظ في أم الكتاب والمخزون عند الله؟ أم لا؟ وكيف حدث البداء بهم؟ ولماذا لم يعرف الأئمة أنفسهم بدقة من سيخلفهم؟

وبغض النظر عن مدى صحة تحليل الخوئي لموضوع البداء، وهو تحليل تعسفي وغير صحيح، فانه يخالف ما اعترف به من "غموض هويات الأئمة وعدم تحديد أسمائهم، وعدم معرفة عامة الشيعة بهم الا أصحاب السر" . كما يخالف دعواه في مكان آخر بنزول أسمائهم من الله في (حديث اللوح النوراني) الذي أعطاه النبي الأكرم للسيدة فاطمة الزهراء عند ولادتها للحسين، وسماحها لجابر بن عبد الله الأنصاري رؤية الأسماء واستنساخهم.

هل أخطأ الشيعة في ذهابهم الى عبد الله الأفطح، بعد الصادق؟

لقد رأينا الخوئي يتهم الشيعة الذين ذهبوا الى القول بامامة عبد الله الأفطح، بعد الصادق، بالخطأ، رغم انهم عملوا بقول الصادق بأن الامامة في الأكبر، وعدم معرفتهم بأي نص على موسى الكاظم، وانهم لم يكونوا ليتراجعوا عنه لولا وفاته دون عقب، وهو ما اضطر فريق منهم كالفطحية الى الانتقال الى أخيه موسى، أو شطب اسمه من قائمة الامامة بدعوى (عدم جواز الجمع بين أخوين

بعد الحسن والحسين)، وهم الموسوية، أو افتراض وجود ولد له في السر، اسمه محمد بن عبد الله، وانه المهدي المنتظر الغائب.

ولو عاد الخوئي الى وصايا الامام علي والسيدة فاطمة الزهراء، لعلم بعدم وجود قائمة بأسماء الأئمة الاثني عشر، وتعرف على النظام الوراثي الذي أوصوا به في أوقافهم العامة، كما ينقل ذلك الكليني عن الامام الباقر أنه قال لأبي بصير: ألا أقرئك وصية فاطمة (ع)؟ قال: بلى، فأخرج حقا أو سفطا فأخرج منه كتابا فقرأه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد رسول الله (ص) أوصت بحوائطها السبعة: العواف، والدلال، والبرقة، والميثب، والحسنى، والصافية، وما لأم إبراهيم إلى علي بن أبي طالب (ع) فان مضى علي فإلى الحسن فان مضى الحسن فإلى الحسين فان مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدى. شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وكتب علي بن أبي طالب".

وروى الكليني أيضا عن الامام موسى الكاظم، وصية أمير المؤمنين (ع) في اوقافه، وهي كما يلي: "... أن ما كان لي من مال بينبع يعرف لي فيها وما حولها صدقة ... فإنه يقوم على ذلك الحسن بن علي ... وإن حدث بحسن حدث وحسين حي فإنه إلى الحسين بن علي ... وإن حدث بحسن وحسين حدث فإن الآخر منهما ينظر في بنى علي، فان وجد فيهم من يرضى بهداه واسلامه وأمانته فإنه يجعله إليه إن شاء، وإن لم ير فيهم بعض الذي يريده فإنه يجعله إلى رجل من آل أبي طالب يرضى به، فان وجد آل أبي طالب قد ذهب كبراؤهم وذووا آرائهم فإنه يجعله إلى رجل يرضاه من بني هاشم ... هذا ما قضى به علي في ماله الغد من يوم قدم (مسكن). شهد أبو سمر بن برهة وصعصعة بن صوحان ويزيد بن قيس وهياج بن أبي هياج وكتب علي بن أبي طالب بيده لعشر خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين".

وهذا ما يؤكد عدم معرفة الامام علي بنظرية الامامة، وتسلسل الأئمة الاثني عشر، والا لما كان أوصى الى الرجال المرضيين في آل أبي طالب أو بني هاشم.

ب5 ف 10 **الاثنا عشرية**

نتيجة لعدم دراسة الخوئي للتاريخ الشيعي، فلم يعرف ولم يتوقف عند التطورات الكبيرة التي حدثت في نظرية الامامة، التي ولدت في القرن الثاني الهجري، وكانت ممتدة الى يوم القيامة، كما يقول بذلك شيخ الشيعة في قم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري (ت 290 أو 301) في كتابه (المقالات والفرق): "ان الامامة في عقب الحسن بن محمد ما اتصلت أمور الله ، ولا ترجع الى أخ ولا عم ولا ابن عم ولا ولد ولد، ومات أبوه في حياة جده، ولا يزول عن ولد الصلب، ولا يكون أن يموت امام الا ولد له لصلبه وله ولد وولد، فهذه سبيل الامامة، وهذا المنهاج الواضح، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الاجماع من الشيعة الامامية". الاشعري القمي، سعد بن عبد الله بن أبي خلف، المقالات والفرق ، ص 106 تصحيح وتعليق الدكتور محمد جواد مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطائي، طهران، 1341هـ شمسي

ولم تكن نظرية الامامة محددة بعدد معين، الا انها عندما وصلت الى طريق مسدود بوفاة الحسن العسكري دون خلف، وانقطاع سلسلة الامامة الوراثية العمودية، وقعت الحيرة في الشيعة وتفرقوا الى اربع عشرة فرقة، وافترض فريق منهم وجود ولد للعسكري في السر، وقالوا انه الامام الثاني عشر، وهكذا ولدت الفرقة (الاثنا عشرية). ولكن الخوئي لم يلتفت الى التناقض بين استمرار الامامة الى يوم القيامة، وبين تحديدها باثني عشر اماما فقط. وتلقى العقيدة (الاثني عشرية) وصدق بالأحاديث التي ألفها فيما بعد أصحاب هذه النظرية، وقال في (أرجوزته) باشتهار أسماء الأئمة في الملأ الأعلى.

وقد أشار الخوئي الى (حديث الاثني عشر) في أرجوزته:

131- قالَ النبيُّ خلفاءُ أمَّتي مِنْ أهْلِ بَيْتي ورُعاهُ سُنَّتي132- فعَدَّهم فانحصروا باثني عَشَرْ واسمُهمُ في الملأ الأعلى اشتهرْ

وقال الخوئي: ان "الروايات المتواترة الواصلة إلينا من طريق العامّة والخاصّة قد حدّدت الأئمّة (ع) باثني عشر من ناحية العدد".

الخوئي، التبريزي، الميرزا جواد، صراط النجاة، ج 2 ص 452- 453 سؤال رقم 1422

المكتبة الشيعية على شبكة الانترنت

ربما كان الخوئي يشير بقوله (اشتهار أسماء الأئمة الاثني عشر في الملأ الأعلى) الى (حديث اللوح) . الذي رواه الكليني ثم نقله الصدوق والمفيد.

الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب في الاثني عشر والنص عليهم، ح رقم 3 ورواه الصدوق في (اكمال الدين) وقد أكده الشيخ المفيد في كتابه (الارشاد) ج 2 ص 15 كما ورد في كتاب (الاختصاص) المنسوب للشيخ المفيد، والمشكوك بصحته، ص 210 – 211

وهو الحديث الذي يروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ويضمن قائمة بأسماء الأئمة، وأن الله قد أنزل أسماءهم واحدا بعد الآخر في لوح نوراني، وأعطاه النبي الى ابنته السيدة فاطمة الزهراء، عند ولادة ابنها الحسين، وأرته الى الصحابي الشاب جابر بن عبد الله الأنصاري، والذي ظهر في القرن الرابع الهجري وزعم أن الله قد أنزل أسماءهم واحدا بعد الآخر في لوح نوراني، وأعطاه النبي الى ابنته السيدة فاطمة الزهراء، عند ولادة ابنها الحسين، وأرته الى الصحابي الشاب جابر بن عبد الله الأنصاري.

ولم يتوقف الخوئي ليدرس هذا الحديث الذي رواه الكليني والصدوق بروايات متعددة ومختلفة، تقول احداها: ان الامام الباقر استشهد بهذا

الحديث عند احتضاره ووصيته لابنه جعفر الصادق، واعتراض أخيه زيد، وطلبه من راوي الحديث جابر الأنصاري أن يؤكد ما شاهده في اللوح النوراني حول أسماء الأئمة الاثني عشر، بالرغم من وفاة جابر عام 78 قبل وفاة الباقر عام 114، مما يؤكد اختلاق هذا الحديث في القرن الرابع الهجري، عند تأسيس المذهب الاثني عشري.

ولم يكن لهذا الحديث أثر في القرن الثالث، عند الشيعة الامامية ، حيث لم يشر اليه الشيخ علي بن بابويه الصدوق في كتابه: (الإمامة والتبصرة من الحيرة) كما لم يشر اليه النوبختي في كتابه: (فرق الشيعة) ولا سعد بن عبد الله الاشعري القمي في:(المقالات والفرق).. وذلك لأن النظرية (الاثني عشرية) طرأت على الامامية في القرن الرابع ، بعد ان كانت النظرية الامامية ممتدة الى آخر الزمان، بلا حدود ولا حصر في عدد معين ، كما هو الحال عند الشيعة الإمامية الإسماعيلية والزيدية.. لأنها كانت موازية لنظرية الشورى وبديلا عنها.. فمادام في الأرض مسلمون ويحتاجون الى دولة وإمام ، وكان محرماً عليهم اللجوء الى الشورى والانتخاب ، كما تقول النظرية الامامية، كان لا بد ان يعين الله لهم إماما معصوما منصوصا عليه .. فلماذا إذن يحصر عدد الأئمة في اثني عشر واحدا فقط؟

من هنا لم يكن الاماميون يقولون بالعدد المحدود في الأئمة ، ولم يكن حتى الذين قالوا بوجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري) في البداية ، يعتقدون أنه خاتم الأئمة ، وهذا هو النوبختي يقول في كتابه (فرق الشيعة):" إن الإمامة ستستمر في أعقاب الإمام الثاني عشر الى يوم القيامة". النوبختي، فرق الشيعة، الفرقة التي قالت بوجود ولد للعسكري.

ونقل الكفعمي في (المصباح) عن الإمام الرضا ، الدعاء التالي حول (صاحب الزمان): "... اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده" . القمي، مفاتيح الجنان، ص 542

ان نظرية (الاثني عشرية) لم تكن مستقرة في العقل الامامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري .. حتى أن الشيخ محمد بن علي الصدوق أبدى شكه بتحديد الأئمة في اثني عشر إماما فقط ، وقال:"لسنا مستعبدين في ذلك إلا بالإقرار باثني عشر إماما ، واعتقاد كون ما يذكره الثاني عشر بعده" . الصدوق، إكمال الدين، ص 77

وروى الصدوق عدة روايات حول احتمال امتداد الإمامة بعد الثاني عشر، وعدم الاقتصار عليه ، وكان منها رواية عن الإمام أمير المؤمنين (ع) حول غموض الأمر بعد القائم ، وان رسول الله (ص) قد عهد اليه :" ان لا يخبر أحدا بذلك إلا الحسن والحسين" ، وانه قال:" لا

تسألوني عما يكون بعد هذا ، فقد عهد اليّ حبيبي ان لا اخبر به غير عترتي" . الصدوق، إكمال الدين، ص 78

وقد ذكر المؤرخ الشيعي المسعودي (توفي سنة 345 هـ) في (التنبيه والاشراف):" ان أصل القول في حصر عدد الأئمة باثني عشر ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه" . المسعودي، التنبيه والاشراف، ص 198 ، والأميني، الغدير، ج 1، ص 195

وكان (كتاب سليم) هذا ، قد ظهر في بداية القرن الرابع الهجري ، وتضمن قائمة بأسماء الأئمة الاثني عشر ، التي يقول عنها : "إنها كانت معروفة منذ عهد رسول الله ، وانه هو الذي قد أعلنها من قبل". وأدى ظهور هذا الكتاب الى تكوّن الفرقة (الاثني عشرية) في القرن الرابع الهجري.. ثم بدأ الرواة يختلقون الروايات شيئا.. فشيئا . ولم يذكر الكليني في (الكافي) سوى سبع عشرة رواية ، ثم جاء الصدوق بعده بخمسين عاما ليزيدها الى بضع وثلاثين رواية.. ثم يأتي تلميذه الخزاز ليجعلها مائتي رواية!

المفيد يضعف كتاب سليم

وكان اعتماد الكليني والنعماني والصدوق في قولهم بالنظرية (الاثني عشرية) على كتاب سليم الذي وصفه النعماني :" بأنه من الأصول التي يرجع اليها الشيعة ويعولون عليها" ، ولكن عامة الشيعة في ذلك الزمان كانوا يشكون في وضع واختلاق كتاب سليم ، وذلك لروايته عن طريق (محمد بن علي الصيرفي أبو سمينة) الكذاب المشهور ، و (احمد بن هلال العبرتائي) الغالي الملعون ، وقد قال ابن الغضائري :" كان أصحابنا يقولون : ان سليماً لا يُعرف ولا ذكر له... والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا " . الحلي، الخلاصة، ص 83

وقد ضعّف الشيخ المفيد (كتاب سليم) وقال:" انه غير موثوق به ولا يجوز العمل على أكثره ، وقد حصل فيه تخليط وتدليس ، فينبغي للمتدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته ، وليفزع الى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد". المفيد، أوائل المقالات وشرح اعتقادات الصدوق، ص 247

وانتقد الشيخ المفيدُ : الصدوقَ ، على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزى ذلك الى منهج الصدوق الأخباري ، وقال عنه:" انه على مذهب أصحاب الحديث، في العمل على ظواهر الألفاظ والعدول عن طرق الاعتبار، وهذا رأي يضرّ صاحبه في دينه، ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار" . المصدر نفسه، ص 242

ومن هنا فقد اعترض الزيدية على الامامية وقالوا:" ان الرواية التي دلّت على ان الأئمة إثنا عشر، قولٌ أحدثه الامامية قريباً، وولّدوا فيه أحاديث كاذبة" . واستشهدوا على ذلك بتفرق الشيعة بعد وفاة كل إمام الى عدة فرق وعدم معرفتهم للإمام بعد الإمام ، وحدوث البداء في إسماعيل ومحمد بن علي، وجلوس عبد الله الأفطح للإمامة، وإقبال الشيعة اليه، وحيرتهم بعد امتحانه، وعدم معرفتهم الكاظم حتى دعاهم الى نفسه ، وموت الفقيه زرارة بن أعين دون معرفته بالإمام . الصدوق، إكمال الدين، ص 75 – 76

وهذا ما يناقض دعوى الخزاز في (كفاية الأثر) والطوسي في (الغيبة) **بتواتر** أحاديث (الاثني عشرية) عن طريق الشيعة، ويثبت أن لا أساس لها من الصحة ، في الأجيال الأولى، وخاصة في عهود الأئمة من آل البيت (ع) ، حيث لم يكن يوجد لها أي أثر .

وكان يجدر بأي باحث محايد أن يدرس نظرية الامامة بصورة شاملة، ويجتهد في أحاديث (الاثني عشرية) ولا سيما بوجود (سليم بن قيس الهلالي) وصحة الكتاب الذي ينسب اليه، ولكن الخوئي فضل التقليد لمشايخ الطائفة الذين وصفهم بالأعلام كالبرقي، وسعد بن عبد الله الاشعري القمي، وأحمد بن إسحاق، وابن قولويه، والكليني، والنعماني، والكشي، والصدوق، والمفيد، والنجاشي، والطوسي، وأضرابهم في توثيق الرواة الناقلين عن الأئمة "بلا اشكال".

الخوئي المعجم، ج 1 ص 42

وبناء على تقليده لمشايخ الطائفة، قال الخوئي: " إن كتاب سليم بن قيس - على ما ذكره النعماني - من الأصول المعتبرة بل من أكبرها، وأن جميع ما فيه صحيح قد صدر من المعصوم (ع) أو ممن لابد من تصديقه وقبول روايته. وعده (الحر العاملي) صاحب (الوسائل) في الخاتمة، في الفائدة الرابعة، من الكتب المعتمدة التي قامت القرائن على ثبوتها وتواترت عن مؤلفيها أو علمت صحة نسبتها إليهم بحيث لم يبق فيه شك".

الخوئي المعجم، ج 9 ص 230

ومن الواضح ان الخوئي، يطلق صفة (الصحة) على الأحاديث التي يرويها الكليني والنعماني، دون تحقيق كبير، رغم احتمال وضعهم لتلك الأحاديث ونسبتها الى سليم الهلالي وكتابه المزعوم.

وعلى فرض صحة وجود شخصية سليم بن قيس الهلالي في التاريخ، وصحة نسبة الكتاب اليه، فانه لا صحة للأحاديث الموضوعة فيه عن (الاثني عشرية) ولا شك انها وضعت فيه بالإضافة الى كثير من القصص والأحاديث المنسوبة لرسول الله (ص) حول الامامة.

ورغم ذلك ادعى الخوئي: ان "الروايات المتواترة الواصلة إلينا من طريق العامّة والخاصّة قد حدّدت الأئمّة (ع) باثني عشر من ناحية العدد". واطلق صفة (التواتر) على حديث (الاثني عشر) الموضوع، خلافا للحقيقة.

في حين لا يوجد أي تواتر على موضوع (الاثني عشر اماما) لا عند السنة ولا عند الشيعة، ما عدا خبر أحاد عند السنة رواه مسلم عن جابر بن سمرة يتحدث عن كون الخلافة في قريش، واثني عشر خليفة أو أميرا: "إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة. وفي لفظ له: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، وفي لفظ له أيضاً: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة. وفي لفظ آخر: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة" دون تحديد عدد الخلفاء أو الأمراء بعد النبي باثني عشر.

ولا توجد أية رواية شيعية صحيحة واحدة حول الاثني عشر، لا متواترة ولا حتى خبر آحاد، وانما روايات موضوعة في القرن الرابع الهجري.

كما لا يوجد امام ثاني عشر، حتى تصح الرواية، فان الامام العسكري لم يخلف ذكرا ولا أنثى.

ولكن الخوئي الذي لم يدرس نظرية الامامة جيدا حتى يعرف أنها ولدت مستمرة الى يوم القيامة، ولم يدرس موضوع الحيرة التي وقع فيها الشيعة بعد وفاة العسكري دون خلف، صدق بدعوى شيوخ الامامية في القرن الرابع الهجري، الذين اختلقوا حديث (الاثني عشر) لكي ينقذوا نظرية الامامة من الانهيار، ذهنيا على الأقل. وأطلق الخوئي صفة (التواتر) جزافا على حديث (الاثني عشر) وفاقا لأولئك المشايخ، واضطر للاعتراف بأن أسماء الأئمة كانت خافية على الشيعة ولذلك ذهبوا الى هذا الامام أو ذاك.

ب5 ف 11 كيف آمن الخوئي بوجود (الامام الثاني عشر)؟

ومهما كان فان النظرية الاثني عشرية تقوم على فرضية وجود (الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) واذا لم يكن هذا حقيقة تاريخية، فان النظرية تنهار تماما، وكان على الخوئي أن يبحث هذه المسألة قبل أن يتبنى النظرية، ولكنه لم يقم بأي بحث مستقل حول موضوع ولادة (الثاني عشر) ووجوده، ولم يشر حتى الى الأدلة المزعومة (النقلية والعقلية) التي أوردها الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسي وغيرهم.

ومن الثابت تاريخيا: أن الامام الحسن العسكري (ت 260 هـ) توفي دون خلف ظاهر، بل أعلن أمام قاضي (سر من رأى) الحسين بن أبي الشوارب، عدم وجود خلف له، وأوصى بأمواله وأوقافه وجواريه الى أمه "حديث". وثبت ذلك عند القاضي والخليفة المعتمد.

وقد أدت وفاة العسكري دون خلف الى حدوث حيرة كبرى عند شيعته ، مما أدى الى تفرقهم الى أربع عشرة فرقة، وقال فريق منهم بوجود ولد في السر، بعمر خمس سنوات، وأنهم على علاقة خاصة به. ولكن الخوئي لا يأخذ بإعلان العسكري عدم وجود ولد له، ولا يشير في كلامه الى موضوع الحيرة التي عصفت بالشيعة بعد وفاته دون ولد ظاهر، ويمر على ذلك مرور الكرام، ويصدق أدعياء النيابة الخاصة، رغم وجود علامة استفهام كبيرة على صدقهم، ويأخذ بكلام الفريق المشبوه الذي افترض وجود الولد للعسكري وقال بغيبته، دون أي دليل تاريخي.

وبالرغم من أن الخوئي يجعل الايمان بالأئمة الاثني عشر أساس الإيمان، بعد الايمان بالله والنبوة والمعاد، ويكفر من لا يؤمن بواحد منهم. الا أنه لم يقم بأي بحث مستقل ومتكامل حول وجود (الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) ولا حول سبب الغيبة.

وقد عزز الخوئي إيمانه بوجود (الامام الثاني عشر) من خلال (حديث الثقلين) الذي يفترض دائما وجود امام من العترة الى جانب القرآن، وقال: "ان هذه الروايات دلت على اقتران العترة بالكتاب، وعلى أنهما باقيان في الناس الى يوم القيامة، فلا بد من وجود شخص يكون قرينا للكتاب، ولا بد من وجود الكتاب ليكون قرينا للعترة، حتى يردا على النبي الحوض، وليكون التمسك بهما

حافظا للأمة عن الضلال، كما يقول النبي ص في هذا الحديث". ونفى الخوئي الحاجة الى رؤية الامام وحضوره بين الناس، وقال: "ان التمسك بالعترة انما يكون بموالاتهم، واتباع أوامرهم ونواهيهم والسير على هداهم، وهذا شيء لا يتوقف على الاتصال بالامام، والمخاطبة معه شفاها، فان الوصول الى الامام والمخاطبة معه لا يتيسر لجميع المكلفين في زمان الحضور ، فضلا عن أزمنة الغيبة، واشتراط امكان الوصول الى الامام (ع) لبعض الناس دعوى بلا برهان ولا سبب يوجب ذلك، فالشيعة في أيام الغيبة متمسكون بامامهم يوالونه ويتبعون أوامره، ومن هذه الأوامر الرجوع الى رواة أحاديثهم في الحوادث الواقعة، أما التمسك بالقرآن فهو أمر لا يمكن الا بالوصول اليه، فلا بد من كونه موجودا بين الأمة، ليمكنه أن تتمسك به، لئلا نقع في الضلال".

والسبب الأعظم، في نظري، لعدم دراسة الخوئي لموضوع وجود (الامام الثاني عشر) دراسة تاريخية علمية دقيقة، هو ان الخوئي بنى عقيدته على حديثي (العترة) و(الاثني عشر) وسلم بناء على ذلك بوجود (الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) دون أي جدال. وقد مر على قصة ولادة (الحجة) مرور الكرام، وترجم في كتابه (معجم رجال الحديث) لحكيمة ابنة محمد بن علي الجواد، فروى عن الكليني عن موسى بن محمد قال: "حدثتني حكيمة ابنة محمد بن علي (ع) وهي عمة أبيه (صاحب الزمان): أنها رأته ليلة مولده، وبعد ذلك". " و ذكر الشيخ الصدوق (ق ه) قصة ولادة الحجة (ع) و أن حكيمة هي التي تولت أمر نرجس والدة الإمام (ع)".

ولم يتوقف الخوئي ليتأكد من وجود عمة للامام المهدي باسم حكيمة أو لا، علما بأن المؤرخين الشيعة لم يذكروا وجود بنت للامام الجواد باسم حكيمة، كالمفيد، وابن شهر آشوب، ونعمة الله الجزائري، وآصف محسني، الذين ذكروا وجود حكيمة أخرى هي بنت موسى بن جعفر، أخت الإمام الرضا الذي طلب منها الاشراف على ولادة ابنه الجواد، وملازمة مَهد المولودِ في أيامه الأولى، والتي يوجد قبرها في منطقة جبلية جنوب إيران، تحديداً في محافظة كهكيلويه وبوير أحمد بالقرب من مدينة بهبهان، ويُعرف بمرقد بيبي حكيمة خاتون . وليس الشخصية الوهمية المدفونة في سامراء.

وبالطبع لم يحقق الخوئي بقصة ولادة (ابن الحسن العسكري) الأسطورية التي رواها الصدوق والطوسي والمسعودي والخصيبي الذين يعتمدون على رواية واحدة ينسبونها إلى حكيمة (أو خديجة) عمة الإمام العسكري التي ينسبون اليها القول بدعوة الحسن العسكري لها للافطار عنده، ليلة النصف من شعبان ،" لأن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة " فاستغربت وقالت : ومن أمه؟ فقال لها: نرجس ، فازداد استغرابها وقالت له: جعلني الله فداك ما بها أثر". وعندما أخبرت نرجس إنها ستلد هذه الليلة استغربت وقالت:" يا مولاتي ما أرى شيئا من هذا". وأن حكيمة نامت بالقرب منها ولم يكن بها أثر للطلق أو أي حادث. فدخل الشك في قلبها، فصاح أبو محمد (ع) من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمة فهاك الأمر قد قرب".

حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة وقالت:" ظهر بي الأمر الذي أخبرك مولاي". وتقول الرواية : إن حكيمة أقبلت تقرأ على نرجس القرآن فأجابها الجنين من بطن أمه .. يقرأ مثلما تقرأ وسلّم عليها. مما أثار فزعها . ولكن الرواية تقول: إن نرجس غُيّبت عن حكيمة فلم ترها كأنه ضرب بينها وبين نرجس حجاب ، مما أثار استغرابها وصراخها ولجوئها إلى أبى محمد ، حيث قال لها: ارجعي يا عمة وستجدينها في مكانها. " قالت حكيمة: فرجعت .. فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيني وبينها ، وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري ، وإذا بالصبي ساجداً لوجهه" .

وقالت حكيمة: فأخذتني فترة فانتبهت بحس سيدي، فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به ساجدا يتلقى الأرض بمساجده ، فضممته اليّ فإذا أنا به نظيف متنظف ، فصاح بي أبو محمد هلمي اليّ ابني يا عمة ، فجئت به إليه فوضع يديه تحت إليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ، ثم أدلى لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله ، ثم قال: تكلم يا بني ، فقال: اشهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد إن محمدا رسول الله ، ثم صلى على علي أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى إن وقف على أبيه ثم أحجم .. ثم قال أبو محمد: يا عمة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وائتيني به، فذهبت به فسلم عليها ورددته فوضعته في المجلس ، ثم قال: يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا" .

" قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلم على أبى محمد وكشفت الستر لأتفقد سيدي فلم أره ، فقلت : جعلت فداك ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى".

وفي هذه الأثناء حلق عدد من الطيور فوق رأس الوليد ، وقال الحسن لطير منها: احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوما ، فتناوله الطير وطار به في جو السماء ، مما جعل أمه تبكي

لفراقه .

" قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟ فقال: هذا روح القدس الموكل بالأئمة يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم . فلما كان بعد أربعين يوما رد الغلام وكان يمشي كأنه ابن سنتين ، مما دفعها للتساؤل بدهشة فقال لها أخوها الحسن: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشئون بخلاف ما ينشأ غيرهم ، وان الصبي منا إذا كان أتي عليه شهر كان كمن أتي عليه سنة ، وان الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عز وجل وعند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحا ومساءا ".

وتواصل الرواية نقلا عن حكيمة الوهمية: " أنها لم تزل ترى ذلك الصبي في كل أربعين يوما إلى إن رأته رجلا ، قبل مضي أبى محمد بأيام قلائل، فلم تعرفه، وقالت لأبن أخيها : من هذا الذي تأمرني إن اجلس بين يديه؟! فقال لها: هذا ابن نرجس ، وهذا خليفتي من بعدي ، وعن قليل تفقدوني فاسمعي له أطيعي" .

" قالت حكيمة: فمضى أبو محمد بعد ذلك بأيام قلائل وافترق الناس كما ترى .. ووالله آني لأراه صباحا مساءا وانه لينبئني عما تسألون عنه فأخبركم، ووالله آني لأريد إن اسأله عن الشيء فيبدأني به وانه ليرد عليّ الأمر فيخرج اليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي ".

ويضيف المسعودي والخصيبي جانبا آخر إلى قصة ولادة ابن الحسن، فيقولان: إن المهدي ولد من فخذ أمه ، وينقلان عن الإمام العسكري قوله لعمته حكيمة : إن الأئمة لا يحملون في البطون وإنما يحملون في الجنوب .

ويروي المسعودي أخيرا عن أبى محمد العسكري انه قال: لما ولد الصاحب بعث الله (عزّ وجلّ) ملكين فحملاه إلى سرادق العرش حتى وقف بين يدي الله فقال له: مرحبا بك.. بك أعطي وبك أعفو وبك أعذب .

وربما اعتمد الخوئي أيضا ، إضافة الى هذه القصة الأسطورية، على ادعاء (النواب الأربعة) الذين وثقهم وصدق (التواقيع) التي كانوا يصدرونها باسم (الامام الغائب) حوالي سبعين عاما، من وفاة الحسن العسكري سنة 260 الى وفاة النائب الرابع السمري عام 329

وهكذا ينسب الى الخوئي القول: **بأن "استمرار نظام الوكالة بعد وفاة الإمام العسكري (ع) وانتقاله إلى السفراء المعروفين، شاهد آخر على وجود الإمام (ع) وعدم انقطاع الإمامة " و"لا شبهة في ولادة الإمام المنتظر (عجّل الله فرجه)، فقد دلّت عليها الروايات الكثيرة الواردة من**

طرق الشيعة، بل ومن طرق العامة أيضاً، وصرّح بها جمع من المؤرخين". "وقد شهد بولادته جماعة من خواص أبيه (ع)، ونقلت ذلك عمّته حكيمة بنت الجواد (ع)، وكذلك بعض نسائه، ولا موجب للتشكيك في شهادتهم مع كونهم من الثقات المأمونين . وقد نصّ الإمام الحسن العسكري (ع) على ابنه المهدي (ع) لجماعة من أصحابه، وأراهم إيّاه، ومنهم أحمد بن إسحاق وغيره، وهذه النصوص لا يمكن طرحها بعد ثبوت صدورها". و"قد ذكر جماعة من مؤرخي العامة أن للحسن العسكري (ع) ولداً اسمه محمد، وهذا وإن لم يلتزموا بإمامته، إلا أن فيه تأييداً لأصل الولادة".

مباحث الإمامة – من تقريرات دروسه الكلامية (منقولة في كتب العقائد الإمامية المعاصرة).

ويقدم الخوئي دليلا معاصرا على وجود (الامام المهدي) وهو عبارة عن (حلم) لرجل مجهول، في مسجد الكوفة، وهو كما يلي:

"كان هذا الرجل في أحد الأيام عصراً في مسجد الكوفة، وبينما هو يمشي محاذياً لغرفه المنتشرة في حائط سوره، رأى في إيوان كائن أمام أحد الغرف فراشاً مفروشاً وقد استلقى عليه شخص مهيب جليل ، وجلس بإزائه رجل آخر. قال: فتعجبت من وجودهما وسألت الرجل الجالس عن هذا المستلقي فأجاب : سيد العالَم. قال : فاستهونت بجوابه وحسبت أنه يريد كونه سيداً عالماً ، لأن العامة هناك ينطقون العالم بفتح اللام .ثم أن هذا الرجل (الحالم) مضى للوضوء والاشتغال بصلاة المغرب والعشاء والتهجد في محراب أمير المؤمنين (ع) حتى اجهده التعب والنعس ، فاستلقى ونام . وحينما استيقظ وجد المسجد مضيئاً، يقول: حتى أني أستطيع أن أقرأ الكتابة القرآنية المنقوشة في الطرف الآخر من المسجد . فظننت أن الفجر قد بزغ ، بل مضى بعد الفجر زمان غير قليل ، وأني تأخرت في النوم زائداً عن المعتاد، فخرجت إلى الوضوء فوجدت في الدكة التي في وسط المسجد جماعة مقامة للصلاة ، يؤمها "سيد العالم" ويأتم به أناس كثيرون بأزياء مختلفة وجنسيات فعجبت من وجود هؤلاء في المسجد على خلاف العادة .ثم أني أسبغت الوضوء والتحقت بالجماعة ، وصليت الصبح معهم ركعتين . وحين انتهت الصلاة ، قام ذلك الرجل المشار إليه وتقدم إلى إمام الجماعة : "سيد العالم" ، وسأله عني قائلاً : هل نأخذ هذا الرجل معنا ؟ فأجاب سيد العالم: كلا، فإن عليه تمحيصين لا بد أن يمر بهما .وفجأة ، اختفى هذا الجمع ، وساد المسجد ظلام الليل ، وإذا بالفجر لم يبزغ بعد، بل بقي إليه زمان ليس بالقليل".

وكما هو ملاحظ فان الخوئي يقدم هذا (الحلم) الذي ينقله عن رجل مجهول، كدليل على وجود (الامام المهدي).

ولو كان الخوئي قد بحث نظرية الامامة، والأدلة على وجود (الامام الثاني عشر) والتفاسير المختلفة حول الغيبة، ربما كان له رأي آخر في كل ذلك.

ب5 ف 12 **الولاية التشريعة للأئمة ووجوب إطاعتهم**

لم يجد الخوئي حاجة للاستدلال على (الامامة والولاية التشريعية) التي يقول عنها: " لا إشكال في ثبوتها، وهي ممّا لا يحتاج إلى إقامة البرهان ومن القضايا التي قياساتها معها، لأنّ وجوب الاطاعة لهم (ع) فيما يرجع إلى أمر الدين من لوازم النبوّة والإمامة ، ولولاه لما كان معنى لنبوّة النبي أو إمامة الولي ، وكيف كان فلا ينبغي الإشكال في ثبوت الولاية بالاضافة إلى أمر الدين". **"وأمّا الولاية التشريعية وكون الأئمّة (ع) نافذي التصرّف في الأموال والأنفس شرعاً ، فهي أيضاً ثابتة بلا ريب".**

ويضيف: "ثم انه لا شبهة في ولايتهم واستقلالهم (ع) في التصرف في أموال الناس وأنفسهم، وتوهم كون السيرة على خلاف ذلك – وان الأئمة لم يأخذوا مال الناس بغير المعاملات المتعارفة بينهم فلا يجوز ذلك للسيرة، فاسد، وذلك من جهة أن غير أمير المؤمنين (ع) لم يكن متمكنا من العمل بقوانين الامامة بل كانوا تحت استار التقية، بل الأمير ع أيضا في كثير من الموارد. وكان في غير موارد التقية لم يفعل ذلك لأجل المصلحة وعدم احتياج الى مال الناس، والا فلا يكشف عدم الفعل عن عدم الولاية، كما لا يخفى".

" وأما اطاعتهم في أوامرهم الشخصية فالظاهر أيضا عدم الخلاف في وجوب إطاعة أوامرهم الشخصية التي ترجع الى جهات شخصهم كوجوب إطاعة الولد للوالد، مضافا الى الاجماع وان لم يكن تعبديا، لاستناده الى الأخبار والآيات

التي تدل عليه، أما الآيات فمنها قوله تعالى "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" اذ الظاهر منها كون كل منهم بعنوانه واجب الإطاعة ومفترض الطاعة، وكون إطاعة كل منهم إطاعة لله، لأمره تعالى بذلك، لا من جهة كون إطاعتهم متفرعة على اطاعة الله ليكون الأمر للارشاد ويخرج عن المولوية.

والاستشكال هنا من جهة الآية وغيرها من الأدلة ناظرة الى وجوب الإطاعة في الجهات الراجعة الى الامامة دون شخصهم وشؤونهم.

وفيه: أن الأدلة التعليلية لا من الجهات التقييدية، وأن كون أخدهم إماما أو نبيا أوجبت إطاعتهم في جميع الجهات.

وبالجملة: لا شبهة في دلالة الأدلة على ذلك وعدم تقييدهم بجهة الامامة، هذا ولا بأس بالاستدلال بقوله تعالى أيضا: " إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة" إذ حكمهم ع ولو بما يرجع الى شخصهم من الجهات من جملة ما قضى، خصوصا بضميمة قوله "أن يكون لهم الخيرة".

وأما الروايات فهي فوق حد الإحصاء، كما ورد في وجوب إطاعتهم، وفي عدة موارد من زيارة الجامعة ذكر ذلك، وقد استدل عليه بدليل العقل بدعوى أنهم من جملة المنعمين، وشكر المنعم واجب، فإطاعتهم واجبة لكونها من جملة الشكر الواجب.

أقول: لا شبهة في كونهم منعمين لكونهم واسطة في الايجاد والافاضة، بل ومن أقوى المنعمين، وأن شكرهم واجب، وأن انعامهم من جملة إنعام الله، وان كان انعامهم ضعيفا بالنسبة الى إنعام الله تعالى، ولكن هذا الوجوب ليس وجوبا شرعيا، بل وجوب عقلي، بمعنى أن العقل يدرك حسن ذلك وقبح تركه، وأما أن تركه أي شيء يستتبع؟ أهو يستتبع العقاب؟ فلا ، بل غايته أن يستتبع منع النعمة وأخذها من المنعمين بصيغة المفعول.

وقد قلنا في وجوب معرفة الله أن وجوب المعرفة شرعا لا يستفاد من الدليل، اذ ليس للعقل الا الادراك، وأن تعظيمه لإنعامه حسن. ولكن لا يدل على كونه معاقبا إذا لم يشكر، بل على حرمان النعمة فقط، وما يوجب العقاب ويستتبعه انما هو ترك الواجب الشرعي ومخالفته.

وبالجملة لا يستفاد من الدليل وجوب المعرفة فكيف بوجوب إطاعة الأئمة في أوامرهم الشخصية. وانما قلنا بوجوب المعرفة لأجل الضرر المحتمل والعقاب المحتمل وليس هنا ذلك لقبح العقاب بلا بيان، ولا يجري ذلك في وجوب المعرفة لعدم امكان البيان قبل المعرفة، واحتمال أنه يعاقب بلا بيان ضعيفة.

وبالجملة العمدة في المقام هو الآيات والأخبار، وربما يقرر الدليل العقلي بوجه آخر غير مستقل، ويتم بضم مقدمة أخرى اليه، وحاصله: أن الأبوة والبنوة تقتضي وجوب الطاعة على الابن في الجملة، والامامة تقتضي ذلك بالأولوية على الرعية لكون الحق هنا أعظم بمراتب، وهذا نظير أن يقال: ان الشئ الفلاني مقدمة للشئ الفلاني، فمجرد ذلك لا يكفي في الوجوب، ويتم ذلك بضم مقدمة أخرى هي أن المقدمة واجبة".

الولاية التكوينية والغلو بالأئمة

ويااليت الخوئي وقف عند هذه النظرية، ولم يرتفع في سلم الغلو الى حد الشرك بالله، فقد كان يعتقد بأن لدى الأئمة (ولاية تكوينية) ويعبر عنها بقوله: "أمّا الولاية التكوينية : فلا إشكال في ثبوتها وأنّ المخلوقات بأجمعها راجعة إليهم وإنّما خلقت لهم ، ولهم القدرة على التصرف فيها وهم وسائط التكوين ، ولعلّ ذلك بمكان من الوضوح ولا يحتاج إلى إطالة الكلام". "كما لا يكاد ينكر أنّ الأئمّة (ع) منعمون بالاضافة إلينا حيث إنّهم وسائط في الافاضة والإيجاد". و"لا يكاد ينكر أنّ الأئمّة (ع) منعمون بالاضافة إلينا حيث إنّهم وسائط في الافاضة والإيجاد ". و" لا شبهة في كونهم (ع) منعما، لكونهم واسطة في الايجاد والإفاضة، بل من أقوى المنعمين، وأن شكرهم واجب، وأن أنعامهم من جملة أنعام الله، وإن كان ضعيفة بالنسبة إلى أنعام الله تعالى أنعامهم، ولكن هذا الوجوب ليس وجوبا شرعيا بل وجوب عقلي". وربما كان الخوئي يعتمد في قوله هذا على (الزيارة الجامعة) التي جاء فيها: **" بِكُمْ فَتَحَ اللّٰهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمٰاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلّا بِإِذْنِهِ".**

وكما يبدو فان الخوئي يتبنى أقوال الفرقة المغالية "المفوضة" التي أسسها المفضل بن عمر، في (الولاية التكوينية) الا أن الخوئي لم يستعد لبحثها في دروسه، وضرب عنها صفحا كأنها من المسلمات، فقال: "لعلّ ذلك بمكان من الوضوح ولا يحتاج إلى إطالة الكلام " "وهذه الجهة من الولاية خارجة عن حدود بحثنا وموكولة إلى محله".

ب5 ف 13 اتهام أبي بكر باغتصاب الخلافة من علي؟

وبناء على رؤية الخوئي للامامة، والاعتقاد بوجود النص على الامام علي، اعتبر الخوئي في خاتمة أرجوزته، عملية انتخاب الصحابة لأبي بكر "اغتصابا لحق الامام علي بالخلافة" وقال:

160- قَدْ طَلَبوا منِّيَ أنْ أوَرِّخَهْ أجبتُهم ومنهمُ مَنْ نَسَخَه161- البيتُ في أر كانِه ها قَدْ عُطبْ أرَّخْتُه (حقُّ عليٍّ قَدْ غُصبْ)162- ثانيةً كرَّرْتُ مني مَا طُلِبْ أرَّخْتُه (حقُّ وَصِيُّ قد غُصِب)163- ثالثةً تأريخُه مني طُلِب أرِّخ (عليٌّ حقُّه منه غُصِب)164- رابعةً بواحِدٍ أنتصِرُ مؤرِّخاً (خيرُ المشاة حيدرُ)165- خامسةً أتاهُمُ النظيرُ مؤرِّخاً (يكفيهمُ الغديرُ)166- سادسةً أردتُ أن أكرِّره تاريخُه (ناجٍ جزائي مَغْفِرَه)

ولكي يؤكد الخوئي ما ذهب اليه من "اغتصاب" أبي بكر لحق الامام علي في الخلافة، فقد اعتمد على ما ذكره المؤرخ الشيعي في القرن السادس الهجري، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت 560 هـ) في (الاحتجاج) حول " احتجاج اثني عشر رجلا على أبي بكر في الخلافة، وذكروا له النص فيها".

وقد نقل الخوئي، بعد ذلك، عن المجلسي المتوفى سنة (1111هـ) تكملة لقصة الاحتجاج، فقال: "وقد عقد العلامة المجلسي باب احتجاج أمير المؤمنين (ع) في أمر الخلافة. وقال: ان أمير المؤمنين (ع) وزوجته الصديقة الطاهرة (ع) وجماعة من أصحابه قد عارضوا الشيخين في أمر الخلافة، واحتجوا عليهما بما

سمعوا من النبي (ص)، واستشهدوا على ذلك من شهد من المهاجرين والأنصار، واحتجوا عليه بحديث الغدير وغيره".

وما أشار اليه الخوئي هنا، هي فقرة مختصرة جدا من حديث طويل رواه الطبرسي، عن محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني (297 – 387) وقد ذكر في حديثه قصة السقيفة وانتخاب أبي بكر، واعتراض الامام علي على بيعة أبي بكر، وقوله: " أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من الرسول وتأخذونه منا أهل البيت غصبا، ألستم زعمتم للأنصار إنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله (ص) فأعطوكم المقادة وسلموا لكم الإمارة، وأنا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حيا وميتا، وأنا وصيه ووزيره ومستودع سره وعلمه، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم أول من آمن به وصدقه، وأحسنكم بلاءا في جهاد المشركين وأعرفكم بالكتاب والسنة وأفقهكم في الدين وأعلمكم بعواقب الأمور، واذربكم لسانا وأثبتكم جنانا، فعلام تنازعونا هذا الأمر؟ أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفته لكم الأنصار، وإلا فبوؤا بالظلم والعدوان وأنتم تعلمون".

ثم قال: " يا معاشر المهاجرين والأنصار الله الله لا تنسوا عهد نبيكم إليكم في أمري، ولا تخرجوا سلطان محمد من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن حقه ومقامه في الناس. فوالله معاشر الجمع إن الله قضى وحكم ونبيه أعلم وأنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان القارئ منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا وتفسدوا قديمكم بشر من حديثكم".

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر وقالت جماعة من الأنصار: يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي

بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علي (ع): "يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت أحدا يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحللتموه، ولا علمت أن رسول الله (ص) ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقائل مقالا، فأنشد الله رجلا سمع النبي يوم غدير خم يقول: " من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وخذل من خذله " أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلا بدريا بذلك وكنت ممن سمع القول من رسول الله (ص) فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا علي علي فذهب بصري.

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع): جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله (ص) أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله (ص)؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنى عشر رجلا من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي ومن الأنصار أبو الهشيم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري.

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم، فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله (ص) ولكن الامام علي رفض ذلك وطلب منهم أن يذهبوا إلى الرجل فيعرفوه ما سمعوا من قول النبي ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر وأبعد لهم من رسول الله صلى الله عليه وآله إذا وردوا عليه.

فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله (ص) وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر قام خالد بن سعيد بن العاص وقال: "اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الله (ص) قال : يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها وموعدكم أمرا فاحفظوه، ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم أشراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي

اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيبا من مرافقتي يدركون به نور الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

ثم قام سلمان الفارسي وقال"كرديد ونكرديد" أي فعلتم ولم تفعلوا، ثم قام أبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وبريدة الأسلمي وعمار بن ياسر و أبي بن كعب وبقية الاثني عشر فقالوا مثل مقالة خالد بن سعيد.

وتكمل الرواية الخيالية: فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جوابا، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا لكع!.. إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك واجعلها في سالم مولي أبي حذيفة.

قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله (ص) فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه.

فالتفت أمير المؤمنين إلى أصحابه فقال: انصرفوا رحمكم الله.

تكفير الصحابة الذين لم يبايعوا الامام علي

وبناء على اعتقاد الخوئي بنظرية الامامة الالهية، وأنها من ضروريات الدين، وكفر من ينكر ضروريا من ضروريات الدين، فقد نظر الى الخليفتين الجليلين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) نظرة سلبية، وكاد أن يحكم بكفر عامة الصحابة الذين لم يبايعوا الامام علي، ولكنه استدرك قائلا: "ان إنكار الضروريّ لا يوجب

الكفر إلاّ مع الالتفات، وأكثرهم غير ملتفتين إلى ذلك.. نعم من كان منهم في صدر الإسلام، وسمع النبيّ (ص) يدعو إلى زعامة علي (ع) وأهل بيته، وإلى إمامتهم ومتابعة الناس لهم، وعلموا بذلك وأنكروه كانوا كفرة فجرة. ومن هنا ورد: في الأخبار: أنه ارتد الناس بعد رسول اللّهّ (ص) إلاّ ثلاث أو أربع".

وقال: "المراد من المؤمن من آمن بالله وبرسوله وبالمعاد وبالأئمة الاثني عشر (ع) أولهم علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم القائم الحجة المنتظر عجل الله فرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره، ومن أنكر واحدا منهم (فهو مشرك كافر)... لأنهم من أهل البدع والريب . بل لا شبهة في كفرهم، لأن انكار الولاية والأئمة (ع) حتى الواحد منهم والاعتقاد بخلافة غيرهم ... تدل عليه الأخبار المتواترة الظاهرة في كفر منكر الولاية ... ويدل عليه أيضا قوله (ع) في الزيارة الجامعة: ومن جحدكم كافر، وقوله (ع) فيها أيضا: ومن وحده قبل عنكم، فإنه ينتج بعكس النقيض أن من لم يقبل عنكم لم يوحده بل هو مشرك بالله العظيم...".

وتنازل قليلا فحكم باسلام الشيخين (أبي بكر وعمر) إسلاما ظاهريا،

وبرأهما من تهمة (النصب والعداوة لأهل البيت) – ظاهرا- وقال بأنهما لم يكونا يكنان العداء للسيدة الزهراء والامام علي، "ولم يكونا ناصبيين". و"إنما نازعوهم في تحصيل المقام، والرئاسة العامة، مع الاعتراف بما لهم من الشأن والمنزلة، وهذا وإن كان أشد من الكفر والإلحاد حقيقة إلاّ أنه لا ينافي الإسلام الظاهري، ولا يوجب النجاسة المصطلحة". وقال: "لا بأس بأن نعبّر عن مثل هؤلاء الأشخاص "بمسلمي الدّنيا وكافري الآخرة".

ولم يتوقف الخوئي عند ثناء الامام علي على أبي بكر وعمر، في البيان الذي أرسله الى أهل مصر بيد عامله عليها قيس بن سعد بن عبادة، والذي جاء فيه: "بسم اللّه الرحمن الرحيم من عبد اللّه علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين، سلام عليكم فإني أحمد اللّه إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد! فإن اللّه بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به الرسل إلى عباده وخص من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم اللّه عز وجل به

هذه الأمة وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً (صلى الله عليه وسلم) إليهم ، فعلمهم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض، وأدّبهم لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضة الله إليه، فعليه صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه إنه حميد مجيد. ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا امرأين منهم صالحين عملاً بالكتاب وأحسنا السيرة ولم يتعديا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله".

ويقول أيضاً وهو يذكر خلافة الصديق وسيرته : " فاختار المسلمون بعده (أي النبي (ص)) رجلاً منهم، فقارب وسدد بحسب استطاعة على خوف وجد".

البحراني، ميثم، شرح نهج البلاغة ص400

وروى الشريف المرتضى علم الهدى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلا من قريش جاء إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: سمعتك تقول في الخطبة آنفا: "اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين" فمن هم؟ قال: "حبيباي وعماي أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الاسلام ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم".

وعن كثير النوا قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي (ع): " جعلني الله فداك! أرأيت أبا بكر وعمر، هل ظلماكم من حقكم شيئا - أو قال: ذهبا من حقكم بشئ؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا، ما ظلمنا من حقنا مثقال حبه من خردل، قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟ قال: نعم ويحك! تولهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي، ثم قال: فعل الله بالمغيرة وبنان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت".

وأثنى الامام علي أيضا على عامة الصحابة، فقال: " لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما أرى أحداً يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباهِهِم وخـدودهم ويقفون على مثل

الجمر من ذكر معـادهم، كأن بين أعينهم رُكب المعزي من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومـادوا كمـا يميـد الشجـر يوم الريح العاصف، خـوفاً من العقاب ورجـاءً للثواب ".

وأخيرا لم ينظر الخوئي الى الواقع وعدم وجود أحد من أولئك الأئمة (المعصومين) وعدم وجود أية ثمرة لهذه النظرية الخيالية سوى العداوة والبغضاء والفرقة بين المسلمين.

ف 14 **الخوئي وفرضية التفسير المنزل**

رأينا في الفصول الماضية كيف أن الخوئي نظّر لعقيدة (الامامة الإلهية لأهل البيت) من خلال تأويل بعض آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث في فضل الامام علي، وأضاف عليها بعض الأحاديث الموضوعة مثل (حديث الثقلين أو العترة) و (الاثني عشرية) التي اتخذ منها دليلا على امامة الأئمة الاثني عشر. وبالرغم من عدم امتلاك الخوئي لأي نص على امامة الباقر والصادق، فانه اعتمد على الاحاديث الواردة عنهما حول تحريف القرآن، وهو وان رفض مقولة التحريف اللفظي، الا انه قبل بالتحريف المعنوي، وأولها بالتفسير المنزل، أي أنه اعترف بمضمون تلك الأحاديث المتضمنة لموضوع الامامة، ولكنه نفى أن يكون هذا المضمون من نص القرآن الأساسي والمعروف، وانما هو من (التفسير المنزل).

وكان الخوئي قد فتح عينيه في الحوزة في جو من التشكيك بسلامة القرآن، إثر تأليف الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت 1320هـ) كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) في عام 1881م ذلك الكتاب الذي أثار عاصفة من الردود والنقاش في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

وقد زعم الطبرسي فيه: أن جميع علماء الشيعة وفقهاءهم المتقدمين منهم والمتأخرين يقولون بتحريف القرآن الموجود اليوم بين أيدي المسلمين. ونسب القول بالتحريف إلى مجموعة من الرواة والفقهاء منهم علي بن أحمد الكوفي، ومحمد بن الحسن الشيباني، والشيخ يحيى تلميذ الكركي، والمولى محمد صالح المازندراني، والمجلسيين (محمد تقي ومحمد باقر)، والسيد علي خان، والمولى مهدي النراقي، والمحقق القمي، والشيخ أبي الحسن الشريف جد صاحب الجواهر، والشيخ علي بن محمد المقابي، والشيخ مرتضى الأنصاري، وظاهر ابن طاووس في فلاح السائل وسعد السعود.

وذلك بناء على روايات نسبها الامامية الى الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق، تتحدث عن "مصحف فاطمة"، أو "كتاب علي". وتتضمن آيات صريحة حول نظرية الامامة، التي زعموا أنها حذفت من القرآن لدى قيام الخليفة عثمان بن عفان بجمع المصحف.

وكان "الإمامية" قد رفضوا الروايات السنية التي تتحدث عن جمع القرآن لأول مرة في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، وقالوا بأن القرآن كان مجموعا في عهد الرسول الأكرم، وقد سلمه الى الامام علي بن أبي طالب عند وفاته، فقام بجمعه بصورة كاملة ونهائية وتقدم به الى الخليفة أبي بكر والصحابة فرفضوه، وقام هؤلاء بعد ذلك بجمعه على طريقتهم الخاصة.

وقال الغلاة منهم بأن الخلفاء حذفوا من القرآن ما يتعلق بالنص على الامام علي أو أهل البيت وحقهم في الخلافة.

وقد روى الكليني أحاديث عن الإمام محمد بن علي الباقر (114هـ) أنه قال: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب (ع)". وأن الإمام "أتى بالكتاب كملا مشتملا على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام فلم يقبلوا ذلك". وان الامام الصادق قال : إنّ رسول الله (ص) قال لعلي عند وفاته: "يا عليُّ!.. القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه، واجمعوه، ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة" فانطلق عليٌّ فجمعه في ثوب أصفر، ثمّ ختم

عليه في بيته. وقال: لا أرتدي حتّى أجمعه. و إن كان الرجل ليأتيه، فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه. وأن الصادق قال: **" أخرجه علي إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على محمد (ص) وقد جمعته من اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحفٌ جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ! فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنما كان عَلَيَّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه – واضاف - : إذا قام القائم قرأ كتاب الله عز وجل على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام !".**

وقد كان الباقر يعبر عن تلك النسخة المخفية أحيانا بـ "كتاب علي" أو "مصحف فاطمة". ويروي الكليني في (الكافي) عن الإمام الصادق، أن "مصحف فاطمة" يوازي ثلاثة أضعاف القرآن الذي بين أيدي المسلمين، وأنه يحتوي على "ستة عشر ألف آية، والله لا يوجد منها في مصحفكم هذا حرف واحد". وأنه كان يختلف عن المصحف المعروف في بعض الآيات. ولكن روايات أخرى عن الصادق تنفي أن يكون "مصحف فاطمة" يحتوي على قرآن، و"إنما هو شئ أملاه الله وأوحى إليها". و" ما فيه آية من كتاب الله".

وتحدث الشيخ المفيد (413) عن (مصحف أمير المؤمنين) و"ما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان". بما يوحي بإيمانه بحدوث تحريف في عملية جمع القرآن وأن القرآن الكامل هو ما جمعه الامام علي بن أبي طالب، وأنه موجود عند الامام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري) المهدي المنتظر. وفسر الروايات التي تختلف مع (المصحف العثماني) مثل (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) و (كذلك جعلناكم أئمة وسطا) (يسألونك الأنفال) بأنها من القراءة الخاصة المنقولة عن أئمة أهل البيت، أو أنها منزلة على وجهين، كنوع من الأحرف السبعة "كما يعترف مخالفونا به من نزول القرآن على أوجه شتى".

وقد اتخذ الخوئي (1992) موقفا مشابها من عملية جمع الخلفاء للقرآن، ورد الروايات السنية التي تتحدث عن جمع أبي بكر وعمر وعثمان للقرآن، بأنها "أخبار آحاد لا تفيد علما، وأنها مخدوشة من جهات شتى". و"انها متناقضة في أنفسها، فلا يمكن الاعتماد على شئ منها".

ولكن مشايخ الطائفة الاثني عشرية الآخرين كالصدوق والمرتضى والطوسي، رفضوا روايات التحريف أو الزيادة والنقصان من القرآن، وضعفوا الاحاديث الواردة عن الامام محمد بن علي الباقر (توفي 114)

الى أن جاء النوري الطبرسي وجمع في كتابه (فصل الخطاب) حوالي الف ومائتي رواية عن الامامين الباقر والصادق، حول تحريف القرآن، وقال بصراحة : "كان لأمير المؤمنين قرآن مخصوص جمعه بنفسه بعد وفاة رسول الله (ص) وعرضه على القوم فأعرضوا عنه فحجبه عن أعينهم وكان عند ولده (ع) يتوارثونه كسائر خصائص الإمامة وخزائن النبوة وهو عند الحجة (عج) يظهره للناس بعد ظهوره ويأمرهم بقراءته، وهو مخالف لهذا القرآن الموجود من حيث التأليف وترتيب السور والآيات بل الكلمات أيضا من جهة الزيادة والنقيصة ".

الخوئي يرد على الطبرسي ويرفض مقولة التحريف

وقد قام الخوئي بالرد على الطبرسي في كتابه (البيان في تفسير القرآن) وقال: "ان حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به الا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أو من ألجأه اليه حب القول به. والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف فلا يشك في بطلانه وخرافته".

واستند الخوئي الى (حديث الثقلين) لكي ينفي مقولة التحريف في القرآن، فقال: "الدليل الثالث: أخبار الثقلين اللذين خلفهما النبي (ص) في أمته وأخبر أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وأمر الأمة بالتمسك بهما، وهما الكتاب والعترة. وهذه الأخبار متظافرة من طرق الفريقين... ان هذه الروايات دلت على اقتران العترة بالكتاب، وعلى انهما باقيان في الناس الى يوم القيامة، فلا بد من وجود شخص يكون قرينا للكتاب".

وقال: ان روايات الثقلين المتظافرة "المتقدمة" دالة على بطلان احتمال التحريف.

ولكن الخوئي واجه مهمة صعبة، وهو يحاول الرد على الطبرسي ، لأنه كان يستند الى مئات الأحاديث الواردة في التراث الشيعي عن الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق، بحيث لا يمكن التفكيك بين القول بنظرية الامامة وبين القول بالتحريف، وان رفض تلك الأحاديث بالمرة يؤدي الى اهتزاز نظرية الامامة، القائمة على مثل تلك الاحاديث وبنفس الطرق. وهذا ما كان يصعب مهمة الخوئي في رده على الطبرسي لأنه كان يؤمن بنظرية الامامة وعصمة الأئمة، فكيف يمكن التفكيك بين الأمرين: إثبات الامامة من ناحية ورفض مقولة التحريف من ناحية أخرى؟ وهنا قام الخوئي بمحاولة مهمة وهي نفي مقولة التحريف استنادا الى نظرية الامامة. فقام في بداية تفسير (البيان) باثبات نظرية الامامة أولا، ثم انطلق منها لينفي مقولة التحريف. وقال: إن " من يرى أنهم (العترة) حجج الله على خلقه، وأنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك فلا ترد عليه هذه الشبهة، لأن استدلال العترة بالكتاب، وتقرير أصحابهم عليه يكشف عن حجية الكتاب الموجود، وان قيل بتحريفه، غاية الأمر أن حجية الكتاب على القول بالتحريف تكون متوقفة على امضائهم".

حذف التفسير المنزل

وبعد أن قام الخوئي برفض مقولة تحريف القرآن زيادة ونقصانا، ذهب ليستعرض ويناقش روايات التحريف الواردة في التراث الشيعي، فضعف سند بعضها كالروايات التي نقلت من كتاب (القرءات أو التحريف والتنزيل) لأحمد بن محمد السياري (-268) ، وعلي بن أحمد الكوفي (-352) ، ثم قال: "إلا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين (ع) ولا أقل من الاطمئنان بذلك، وفيها ما روي بطريق معتبر، فلا حاجة بنا الى التكلم في سند كل رواية بخصوصها".

وقام الخوئي بتأويل بعض الروايات المصرحة بالتحريف، بتحريف المعنى، واستعرض مجموعة من الروايات، منها:

1- ما ورد في تفسير علي بن إبراهيم القمي: "لما نزلت هذه الآية: يوم تبيض وجوده وتسود وجوه. قال رسول الله (ص): ترد أمتي علي يوم القيامة على خمس رايات. ثم ذكر أن رسول الله (ص) يسأل الرايات عما فعلوا بالثقلين؟. فتقول الراية الأولى: أما الأكبر فحرفناه، ونبذناه وراء ظهورنا، وأما الأصغر فعاديناه، وأبغضناه، وظلمناه. وتقول الراية الثانية: أما الأكبر فحرفناه، ومزقناه، وخالفناه، وأما الأصغر فعاديناه وقاتلناه...".

2- ما عن سعد بن عبد الله القمي... عن أبي جعفر (ع) قال: "دعا رسول الله (ص) بمنى، فقال: أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين – أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي – والكعبة الحرام، ثم قال أبو جعفر: أما كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبةـ فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودائع الله قد نبذوا ومنها قد تبرأوا".

3- ما عن الصدوق في الخصال عن النبي (ص) قال: "يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة. يقول المصحف: يا رب حرفوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا، وطردونا، وشردونا...".

ورد الخوئي هذه الروايات التي تصرح بالتحريف بأن المراد من بعضها التحريف بتعدد القراءات، أو بحمل الآيات على غير معانيها، الذي يلازم إنكار فضل أهل البيت (ع) ونصب العداوة لهم وقتالهم. ثم قال: "ان التحريف بهذا المعنى واقع قطعا... ولولا هذا التحريف لم تزل حقوق العترة محفوظة، وحرمة النبي فيهم مرعية، ولما انتهى الأمر الى ما انتهى اليه من اهتضام حقوقهم وايذاء النبي (ص) فيهم".

وفي مفارقة واضحة تناقض الخوئي هنا مع نفسه، فقد قام برد مقولة التحريف بناء على (حديث الثقلين) ثم عاد فقبل ما يشبه التحريف وهو (التفسير المنزل) بناء على (حديث الثقلين)!

وقد رأينا الخوئي، رغم قوله "بأن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال" يتردد في اتخاذ موقف حاسم وقاطع ضد التحريف، ويقول:"إن المشهور بين علماء الشيعة ومحققيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف". ويعترف لهم بأن "كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك، وفيها ما روي بطريق معتبر... فعلينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات". ويحاول الخوئي أن يأول تلك الروايات الصريحة بالتحريف، على محامل شتى ثم يقول: "وإذا لم يتم هذا الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنة، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف".

وهذا موقف ينطوي على ضعف تجاه الرجال الذين رووا تلك الروايات كالكليني والقمي وغيرهم، واعتبار تلك الروايات "صحيحة ومعتبرة ومستفيضة ومتواترة"، وكان من الأجدر به أن يدرس روايات التحريف ضمن ظروفها المحيطة بها وتوقيتها وارتباطها بنظرية الإمامة، وأن يعيد النظر في نظرية الإمامة الإلهية نفسها، ويتساءل عن مصدر أحاديث التحريف وصدقيتها، هل هي من الرواة؟ أم من الأئمة أنفسهم كالباقر والصادق؟ ولماذا لم تعرف عن الأئمة السابقين كالإمام علي بن أبي طالب أو الحسن أو الحسين؟.

وعندما واجه الخوئي الروايات التي دلت على أن بعض الآيات المنزلة قد ذكرت فيها أسماء الأئمة (ع) وهي كثيرة، مثل رواية الكليني: "ولاية علي بن أبي طالب مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد وولاية وصيه" و "نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد (ص) هكذا: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا – في علي – فأتوا بسورة من مثله". ورواية العياشي عن الصادق: "لو قرئ القرآن - كما أنزل - لألفينا مسمين". قال (الخوئي): "ان بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن، وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة (ع) في التنزيل من هذا القبيل، واذا لم يتم الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنة، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف. **وقد دلت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة، وأن ما خالف الكتاب منها يجب طرحه، وضربه على الجدار**".

وبالرغم من مخالفة تلك الروايات بصراحة للقرآن الكريم، الا ان الخوئي لم يردها بقوة، لأنها صادرة عن الامامين الباقر والصادق، بسند صحيح، في نظره، فقام بتأويلها وافتراض أن أسماء الأئمة (من قبيل التفسير للقرآن، وليس من نفس القرآن). وهذا افتراض تعسفي خيالي لا دليل عليه الا من (المعصومين) الذين لا يشك الخوئي بصدقهم.

وقد قام الخوئي هنا بأمرين:

1. قبول تلك الروايات المصرحة بالتحريف، والتي نقلها عن علي بن إبراهيم القمي، وسعد بن عبد الله القمي، والكليني، والصدوق، وجعفر بن قولويه، وابن طاووس، وابن شهر آشوب، وغيرهم.
2. التصديق بمضمون التحريف المدعى، وهو فضائل أهل البيت.

ما هو التفسير المنزل؟

رفض الخوئي في (البيان) مقولة تحريف القرآن، ولكنه فسر الروايات المائتين (الصحيحة) - حسب نظره - في نسبتها الى الامام الباقر، بأنها تعني التفسير المنزل، وان هذا التفسير هو ما حذف لدى جمع القرآن في عهد عثمان، وقد كان هذا التفسير - حسب قول الخوئي - يدور حول الامام علي وأهل البيت والامامة.

ومن ابرز الأمثلة على (التفسير المنزل) الذي ورد في "قراءة أهل البيت". ما يلي:

- وجود اسم الامام علي في عدد من الآيات، كقوله تعالى: " و إنْ كُنتُم في رَيْب مِمّا نزّلنا على عَبْدِنا (في علي) فأتوا بسورة من مثله".
- "يا أَيُّها النّاسُ قَد جاءَكُمُ الرَّسولُ بِالحَقِّ مِن رَبِّكُم (في ولا ية علي) فَآمِنُوا خَيْراً لَكُم وَإنْ تَكْفُرُوا فَإنَّ لله ما في السَّمواتِ وَالأرضِ وَ كانَ اللّهُ عَلِيماً

حَكِيماً".

- وجود (آل محمد) في آيات كثيرة منها :" أمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما ءَاتَاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَينا آلَ إبراهيمَ (وآل عمران وآل محمد) الكِتابَ وَ الحِكْمَةَ وَ ءَاتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً".(النساء 54)
- "ان اللّه اصطفى آدم ونوحاً و آل ابراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين" ثم قال هكذا واللّه نزلت. و"وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ (آل محمد) أَيَّ مُنقَلَب يَنقَلِبُونَ" .
- وجود (وإلى أولي الأمر منكم) الى هذه الآية:"يا أيُّها الّذينَ آمَنوا أطِيعُوا اللّهَ وَ أطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الأمْرِ مِنْكُم فَإنْ تَنازَعْتُم في شَيء فَرُدُّوهُ إلى اللّهِ وَ الرَّسولِ (وإلى أولي الأمر منكم من آل محمد) إنْ كُنْتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ وَ اليَومِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أحْسَنُ تَأويلاً ". (النساء 59) فقد روى السياري عن بريد بن معاوية قال كنت عند أبي جعفر ، فسألته عن قول اللّه تعالى: (أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم) قال فكان جوابه ان قال:... ايانا عنى خاصة (فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوه إلى اللّه و إلى الرسول و أولي الأمر منكم) هكذا نزلت ، و كيف يأمرهم بطاعة أولي الأمر و يرخص لهم في منازعتهم انما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم أطيعوا اللّه و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم.

وكما نرى فان الامام الباقر هنا – ان صحت الرواية عنه، وهي صحيحة عند الخوئي- يحاول الهيمنة على القرآن بتجييره لصالحه وصالح (أهل البيت، أو العترة) وذلك بعد أن بنى شرعيته على (حديث العترة) وأدخل نفسه في (أهل البيت). وهو ما أدى بالخوئي الى التوقف عند حاجز (العترة) ولم يستطع رد تلك الأحاديث (الصحيحة) بنظره، الواردة عن الباقر والصادق، فقام بتأويلها بأن المقصود منها (التفسير المنزل) وليس النص القرآني، في حين كان بإمكان الخوئي رد كل تلك الأحاديث بسهولة، بما فيها المأولة بالتفسير المنزل، لو لم يكن يؤمن بعصمة الأئمة (كالباقر والصادق) ولكن الخوئي كان قد آمن مسبقا بعصمة الأئمة وأنهم من (العترة) بناء على (حديث الثقلين) الموضوع والذي لا أساس له من الصحة.

الخوئي يرفض الاحرف السبعة والقراءات السبع ما عدا قراءة أهل البيت

وبالرغم من أن الخوئي رفض الاعتراف بالقراءات السبع فضلا عن الأحرف السبعة، اعتمادا على بعض الروايات الواردة عن الباقر والصادق ، وقام بالتشكيك بالقراءات لأنها – حسب قوله - غير متواترة لا عن النبي ولا عن القراء أنفسهم، وهي اما اجتهاد من القارئ، أو منقول بخبر الواحد. وقال:" قد أطبق المسلمون بجميع نحلهم ومذاهبهم على أن ثبوت القرآن ينحصر طريقه بالتواتر. واستدل كثير من علماء السنة والشيعة على ذلك : بأن القرآن تتوافر الدواعي لنقله ، لأنه الاساس للدين الاسلامي ، والمعجز الالهي لدعوة نبي المسلمين ، وكل شيء تتوفر الدواعي لنقله لا بد وأن يكون متواترا. وعلى ذلك فما كان نقله بطريق الآحاد لا يكون من القرآن قطعا".

ورفض الخوئي البحث في مسألة الأحرف السبعة وتاريخ جمع القرآن أو الظروف التي أدت الى بروز القراءات السبع في القرنين الأول والثاني الهجريين، بسبب عدم تنقيط المصاحف لعدم وجود النقط والحركات في كتابة الحروف العربية، حتى عهد الحجاج بن يوسف الثقفي (95 هـ) مما سمح لكل قارئ من القراء السبعة أو العشرة أو السبعين أن يقرأ بشكل مختلف عن زملائه القراء، وقال الخوئي:"ان المراجع بعد النبي (ص) في أمور الدين ، إنما هو كتاب الله وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ... ولا قيمة للروايات إذا كانت مخالفة لما يصح عنهم. ولذلك لا يهمنا أن نتكلم عن أسانيد هذه الروايات. وهذا أول شيء تسقط به الرواية عن الاعتبار والحجية".

وفي مقابل ذلك قبل الخوئي بالقراءة الخاصة لأهل البيت، والمتضمنة للتفسير المنزل، بالرغم من انها خبر آحاد أيضا، وربما كانت أضعف مما روي من أحرف وقراءات.

الخوئي ومصحف علي

وقد أكد الخوئي وجود مصحف خاص لأمير المؤمنين يغاير القرآن الموجود، في ترتيب السور، واشتماله على زيادات ليست في القرآن الموجود، وقال: "ان وجود مصحف لأمير المؤمنين (ع) يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما **لا ينبغي الشك فيه**، **وتسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لاثباته**، كما ان اشتمال قرآنه (ع) على زيادات ليست في القرآن الموجود، وان كان صحيحا الا انه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن، وقد اسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيرا بعنوان التأويل، وما يؤول اليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحا للمراد.

وأضاف: "... وعلى ما ذكرناه، فليس كل ما نزل من الله وحيا يلزم أن يكون من القرآن، فالذي يستفاد من الروايات في هذا المقام أن مصحف علي (ع) كان مشتملا على زيادات تنزيلا أو تأويلا. ولا دلالة في شئ من هذه الروايات على ان تلك الزيادات هي من القرآن. وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء المنافقين في مصحف أمير المؤمنين ع فان ذكر أسمائهم لا بد وان يكون بعنوان التفسير.

وحاصل ما تقدم: أن وجود الزيادات في مصحف علي (ع) وان كان صحيحا، الا ان هذه الزيادات ليست من القرآن، ومما أمر رسول الله ص بتبليغه الى الأمة".

وفي الحقيقة، لا يمكن التأكد أساسا من وجود مصحف خاص للامام علي، لأنه لم يتحدث عنه مطلقا، ولم يظهره لأحد، وقد صدر القول به عن الامام الباقر، في القرن الثاني الهجري، وهو على أي حال خبر آحاد، ودعوى سرية، ولو لم يكن الخوئي يعتقد بعصمة الباقر، لما صدقه في قوله هذا، وبالتالي لم يكن يضطر للقول بالتفسير المنزل.

وهذا القول بوجود (تفسير منزل) افتراض خيالي من الخوئي وغيره ، بلا دليل، ومحاولة منه للجمع بين عدم القول بتحريف القرآن وتصحيح تلك الروايات المتضمنة للتحريف. والتي تروى عن الامامين الباقر والصادق اللذين عاشا في القرن الثاني الهجري، ورويا دون سند عن كتاب سري مجهول ومشكوك فيه يسمى "كتاب علي" أو "مصحف فاطمة". وكان الأجدر به أن يرفض تلك الروايات بقوة سواء صدرت عن الباقر والصادق، أو نسبت اليهما كذبا وزورا، ويراجع منهجه في التصحيح والتضعيف.

هيمنة العترة على القرآن بالتأويل والتخصيص والتعميم والتقييد

ولم يتوقف الأمر عند حد (التفسير المنزل) وانما سينظر الخوئي الى كل ما يرد من (الأئمة المعصومين) في تأويل القرآن، وتخصيص عمومه، وتعميم خاصه، وتقييد مطلقه، ويقبله دون نقاش.

لا يفهم القرآن الا من خوطب به

وبعيدا عن (التحريف الصريح) و (التفسير المنزل) أو القراءة الخاصة للقرآن التي قدمها الامام الباقر، فان بعض الروايات تشير الى أنه حاول أن يهيمن أيضا على عملية فهم القرآن، ويحتكرها لنفسه وأهل البيت، ويقول بعدم قدرة عامة الناس على فهم القرآن. وقد تلقى الخوئي هذا القول بالقبول دون مناقشة، وقال: "بأن فهم القرآن حق فهمه، ومعرفة ظاهره وباطنه، وناسخه ومنسوخه مختص بمن خوطب به". رغم أن الله تعالى يقول "ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" (أربع مرات في سورة القمر، آية 17 و 22 و32 و 40) إضافة الى أن الباقر أو الصادق أو بقية الأئمة لم يخاطبوا بالقرآن شخصيا.

وحاول الخوئي أن يبرر دعوى هيمنة أهل البيت على القرآن بقوله: "معنى ذلك ان الله قد خص أوصياء نبيه بإرث الكتاب، وهو معنى قوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" فهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم في ذلك نصيب". ونقل رواية عن الامام الصادق: "انما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه، ولم يعرفوا

حقيقته، فوضعوا له تأويلا من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرفونهم".

ولو لم يكن الخوئي يؤمن مسبقا بعصمة الامام الصادق (والعترة) لتساءل عن الدليل على اختصاصه واختصاصهم بمعرفة المتشابه دون عامة الناس؟ ومن هم الأوصياء الذين خصهم الله بإرث الكتاب؟

ومع ذلك يقول الخوئي: "ان القرآن وان اشتمل على علم ما كان وما يكون، وكانت معرفة هذا من القرآن مختصة بأهل بيت النبوة من دون ريب، ولكن ذلك لا ينافي أن للقرآن ظواهر يفهمها العارف باللغة العربية واساليبها، ويتعبد بما يظهر له بعد الفحص عن القرائن".

ولكنه يعود فيؤكد: "ان أهل البيت هم المرجع في الدين بعد جدهم الأعظم (ص)". وبالتالي فانهم هم المهيمنون والمحتكرون لفهم القرآن.

التفسير الباطني للقرآن أو التأويل التعسفي

يقول الخوئي في كتاب (محاضرات في أصول الفقه): "قد ورد في عدّة من الروايات أنّ الآية من القرآن إذا فسّرت في شيء فلا تنحصر الآية به، وهو كلام متصل ينصرف على وجوه ، وأنّ القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه. وهذا معنى أنّ للقرآن بطوناً لن تصل إليها أفهامنا القاصرة إلاّ بتوجيه من أهل البيت (ع) ... وقد دلّت على ذلك المعنى روايات كثيرة واردة من طرق العامّة والخاصّة:

منها : "ما في القرآن آية إلاّ ولها ظاهر ، ظهر وبطن " .

ومنها : "وإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانّه شافع مشفّع ـ إلى أن قال ـ وله ظهر وبطن ، فظاهره حكم وباطنه علم ، ظاهره أنيق وباطنه عميق ، وله تخوم وعلى تخومه تخوم ، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه".

ومنها : "إنّ القرآن حي لم يمت وأ نّه يجري كما يجري الليل والنهار وكما يجري الشمس والقمر ، ويجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا".

ومنها : "إنّ القرآن حي لا يموت والآية حيّة لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين"

ومنها : "لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أُولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ، ولكن القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السّماوات والأرض ولكل قوم آية يتلونها ، هم منها من خير أو شر".

وفي بعض الروايات إشارة إلى صغرى هذه الكبرى وهو ما ورد : إنّ القرآن ظاهره قصة وباطنه عظة ، فانّه في الظاهر بيّن قصص السابقين وقضاياهم كقصة بني إسرائيل وما شاكلها ، ولكنّها في الباطن عظة للناس وعبر ودروس لهم ، فانّ التأمّل في القضايا الصادرة عن الاُمم السابقة دروس وعبر لنا . وينبهنا على أنّ السير على منهاجه ينجينا عن الضلال، وأنّ الكفر بنعم الله تعالى يوجب السخط على الكافرين والعاصين .

وعلى الجملة : أنّ قصص الكتاب في الظاهر وإن كانت حكايات وقصصاً إلاّ أ نّها في الباطن دروس وعبر للناس . فقد أصبحت نتيجة هذا البحث لحدّ الآن اُموراً :

الأوّل : أنّ استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد جائز على مسلك من يرى حقيقة الوضع التعهد والالتزام ، نعم هو خلاف الظهور عرفاً .

الثاني : أنّ المراد من بطون القرآن لوازم معناه المستعمل فيه اللفظ وملزوماته وملازماته ، من دون استعمال اللفظ فيها على ما نطقت به الروايات من طرق الخاصّة والعامّة .

الثالث : أنّ هذه البواطن التي تضمنها القرآن لا يعرفها إلاّ من خوطب به وأهل بيته الطاهرين (ع)

ومن هنا قد وقفنا على بعضها في بعض الموارد بواسطة الآثار المنقولة منهم (ع)".

نماذج من التفسير الباطني للقرآن

-

- عن أبي جعفر (ع) في قول الله "إنما أنت منذر ولكل قوم هاد" قال: "رسول الله (ص) المنذر وفى كل زمان منا هاديا يهديهم إلى ما جاء به نبي الله ثم الهداة من بعد على ثم الأوصياء واحدا بعد واحد".
- " والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة".
- عن أبي عبد الله: " ولو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب ولكنه حي جرى فيمن بقي كما جرى فيمن مضى".
- عن أبي جعفر في قول الله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" قال: إيانا عنى.
- عن أبي عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية "يوم ندعو كل أناس بامامهم" قال فقال المسلمون يا رسول الله (ص): الست امام الناس كلهم أجمعين؟ فقال: انا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، ألا ومن والاهم واتبعهم وصدقهم فهو منى ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذبهم فليس منى ولا معي وانا منه برئ.
- عن قول الله تبارك وتعالى "إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن": إن القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور وجميع ما أحل من الكتاب وهو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق.
- عن أبي جعفر في قول الله تبارك وتعالى "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت" قال: فلان وفلان "ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا" يقولون لائمة الضلال والدعاة إلى النار هؤلاء اهدى من آل محمد وأوليائهم سبيلا "أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك" يعنى الامام والخلافة "فإذا لا يؤتون الناس نقيرا" نحن الناس الذين عنى الله.".
- سألته عن قول الله تعالى "وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليه آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون" : أرأيت أحدا يزعم أن الله

أمر بالزنا وشرب الخمر أو بشئ من هذه المحارم؟ فقلت: لا ، فقال: ما هذه الفاحشة التي يدعون ان الله امر بها؟ فقلت الله أعلم ووليه. قال: فان هذه في أئمة الجور، ادعوا ان الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمر الله بالايتمام بهم فرد الله ذلك عليهم وأخبرنا انهم قد قالوا عليه الكذب فسمى الله منهم فاحشة.

- عن أبي عبد الله في هذه الآية "أم يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما" قال: نحن والله الناس الذين قال الله تبارك وتعالى ونحن والله المحسودون ونحن أهل هذا الملك الذي يعود إلينا.
- عن عبد الله بن سليمان عن ابي عبد الله، قال سألته عن الامام أفوض الله اليه كما فوض الى سليمان؟ فقال: نعم. وذلك ان رجلا سأله عن مسألة فأجابه وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير جواب الأول، ثم سأله آخر عنها، فأجابه بغير جواب الأولين، ثم قال: "هذا عطاءنا فامسك أو اعط بغير حساب" هكذا هي في قراءة علي.
- عن موسى بن أشيم، قال: دخلت على ابي عبد الله فسألته عن مسألة فأجابني فيها بجواب، وأجاب رجلا آخر وثالثا بأجوبة مختلفة، ففزعت من ذلك وعظم علي وقلت له: جزعت في ثلاثة أقاويل في مسألة واحدة، فقال: يا بن اشيم، ان الله فوض الى داود أمر ملكه، فقال: "هذا عطاءنا فامنن أو امسك بغير حساب" وفوض الى محمد أمر دينه، فقال: "ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" وان الله فوض الى الأئمة منا والينا ما فوض الى محمد، فلا تجزع.
- عن أبي جعفر في قول الله عز وجل "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب " فقال: نحن الذين نعلم وعدونا الذين لا يعلمون وشيعتنا أولو الألباب.
- عن أبي عبد الله : انا شجرة من جنب الله فمن وصلنا وصله الله : " أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ".
- عن أبي الحسن الرضا قال: جنب الله هو أمير المؤمنين وكذلك من كان من بعده من الأوصياء بالمكان المرفوع إلى أن ينتهى الأمر إلى آخرهم.

هل ينسخ الأئمة القرآن؟

يرفض الخوئي دعاوى وجود النسخ في القرآن الكريم، سواء نسخ التلاوة دون الحكم (كآية الرجم)، أو نسخ الحكم دون التلاوة، ويقول بأن ذلك توهم منهم، اذ لا يوجد نسخ ولا تعارض بين آيات القرآن الكريم، ويوضح: "أن مستند هذا القول أخبار آحاد وأن أخبار الآحاد لا أثر لها في أمثال هذا المقام. فقد أجمع المسلمون على أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد كما أن القرآن لا يثبت به ".

وأما بالنسبة لنسخ الحكم دون التلاوة، فيقول: "هذا هو المشهور بين العلماء والمفسرين، وقد ألف فيه جماعة من العلماء كتبا مستقلة، وذكروا فيها الناسخ والمنسوخ. منهم العالم الشهير أبو جعفر النحاس... وخالفهم في ذلك بعض المحققين، فأنكروا وجود المنسوخ في القرآن. وقد اتفق الجميع على إمكان ذلك، وعلى وجود آيات في القرآن ناسخة لأحكام ثابتة في الشرائع السابقة، ولأحكام ثابتة في صدر الإسلام". واشترط الخوئي لقبول ذلك النسخ القرآني، ورود خبر النسخ بالسنة المتواترة، وليس بخبر الواحد. وقال: "إن الحكم الثابت بالقرآن ينسخ بالسنة المتواترة، أو بالاجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم (ع) وهذا القسم من النسخ لا إشكال فيه عقلا ونقلا، فإن ثبت في مورد فهو المتبع، وإلا فلا يلتزم بالنسخ، وقد عرفت أن النسخ لا يثبت بخبر الواحد".

ويبدو هنا أن الخوئي يخلط بين نسخ القرآن بالقرآن الذي نفاه الا بورود ذلك بخبر متواتر عن الرسول الأكرم، وبين قيام النبي بنفسه بنسخ القرآن، وهو أمر آخر. واذا كان من الصعب قبول نسخ القرآن بالقرآن فكيف يمكن القبول بنسخ النبي للقرآن؟

يقول الله تعالى في سورة يونس: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (16) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17).

وقد صرَّح الطَّبْرَسي (- 548) صاحب تفسير (مجمع البيان): بأن القرآن له الحكم الكامل على جميع الأحاديث. وقال في تفسيره للآية

180 من سورة البقرة: "إن الخبر لو سَلِمَ مِنْ كُلِّ قدح لكان يقتضي الظن، ولا يجوز أن يُنسَخ كتابُ الله تعالى الذي يوجب العلم اليقين، بما يقتضي الظن"..

ويلاحظ في قول الخوئي هذا، أنه أدخل الأئمة في (المعصوم) أي انه فتح الباب أمام قبول نسخ الحكم الثابت بالقرآن، بالأحاديث الواردة عن الأئمة، وهذا منتهى القول بهيمنة الأئمة على القرآن. وهو قول جديد لم يسبقه اليه أحد من الشيعة عبر التاريخ.

تخصيص العام وتعميم الخاص وتقييد المطلق

وأما تخصيص عام القرآن، أو تعميم خاصه، أو تقييد مطلقه، فلم يعتبره الخوئي من قبيل النسخ، فأجازه حتى بالخبر الواحد، وقال: " الحق: ان الخاص يكون مخصصا للعام تقدم عليه أو تأخر عنه، ولا يكون ناسخا له، ولأجل ذلك يكتفى بخبر الواحد الجامع لشرائط الحجية في تخصيص العام ... ولو كان الخاص المتأخر ناسخا لم يصح ذلك، لأن النسخ لا يثبت بخبر الواحد، أضف إلى ذلك أن الآية ليس لها عموم لفظي، وإنما هو ثابت بالإطلاق، ومقدمات الحكمة، فإذا ورد من الأدلة ما يصلح لتقييدها حكم بأن الإطلاق فيها غير مراد في الواقع".

وقد اختلف أهل السنة في جواز تخصيص عام القرآن بخبر الواحد، فذهب المشهور الى جواز ذلك ومنعه فريق منهم على الاطلاق، وفصل فيه آخرون، واختار الخوئي القول المشهور، واستدل على ذلك "بأن الخبر قطعي الحجية، ومقتضى ذلك أنه يجب العمل بموجبه ما لم يمنع منه مانع".

وقال: "ان شئت فقل: ان سند الكتاب العزيز – وان كان قطعيا – الا ان دلالته ظنية، ولا محذور بحكم العقل في أن ترفع اليد عن الدلالة الظنية لديل ظني آخر ثبتت حجيته بدليل قطعي". و"ان الكتاب وان كان قطعي السند الا ان

دلالته غير قطعية، ولا مانع من رفع اليد عنها بخبر الواحد الذي ثبتت حجيته بدليل قطعي".

ومع ذلك فقد رفض الخوئي تخصيص قوله تعالى: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين". (البقرة: 180) بحديث "لا وصية لوارث" الصحيح والمتواتر عن النبي (ص) عند أهل السنة. ولكن الخوئي قبل أخبار الآحاد الصادرة عن (أئمة أهل البيت) الذين اعتبرهم "المرجع في الدين بعد جدهم الأعظم (ص)". وقال: ان "خبر الواحد الخاص ليس مخالفا للعام الكتابي، بل هو مبين للمراد منه. ويدل على ذلك أيضا: أنا نعلم انه قد صدر عن المعصومين (ع) كثير من الاخبار المخصصة لعمومات الكتاب، والمقيدة لمطلقاته، فلو كان التخصيص أو التقييد من المخالف للكتاب لما صح قولهم " ما خالف قول ربنا لم نقله، أو هو زخرف، أو باطل" فيكون صدور ذلك عنهم (ع) دليلا على أن التخصيص أو التقييد ليس من المخالفة في شيء.

ويضيف: "ان المعصومين (ع) قد جعلوا موافقة أحد الخبرين المتعارضين للكتاب مرجحا له على الخبر الآخر، ومعنى ذلك أن معارضه – وهو الذي لم يوافق الكتاب – حجة في نفسه لولا المعارضة، ومن الواضح أن ذلك الخبر لو كانت مخالفته للكتاب على نحو لا يمكن الجمع بينهما لم يكن حجة في نفسه ولم يبق معه مجال للمعارضة والترجيح، واذن فلا مناص من ان يكون المراد من عدم موافقته للكتاب أنه يمكن الجمع بينهما عرفا بالالتزام بالتخصيص أو التقييد".

وقد جمع الخوئي هنا بين الخبر الوارد عن النبي الأكرم، والخبر الوارد عن الأئمة (الاثني عشر) وجعلهما في مرتبة واحدة، بناء على عقيدته في "أن أهل البيت هم المرجع في الدين بعد جدهم الأعظم (ص)".

كما ان الخوئي استخدم هنا منطقا معكوسا، اذ اعتمد على حديث للائمة بقيامهم بتخصيص الكتاب، دليلا على شرعية ذلك، قبل أن يثبت حجية قولهم بدليل خارج عن كلامهم. وكان الخوئي سيرفض هذا المنطق المعكوس، لو صدر من أي فقيه آخر، في حين كان عليه أن يرفض التخصيص والتقييد المظنونين المخالفين لعموم واطلاق

الكتاب، المنسوبين الى بعض الأئمة، ويتمسك بالحديث المتواتر عنهم: " ما خالف قول ربنا لم نقله، أو هو زخرف، أو باطل".

واذا علمنا بأن معظم الأخبار التي يشير اليها الخوئي، صادرة عن الامامين الباقر والصادق، فان الخوئي يكون قد أجاز تخصيص القرآن، بأخبار الآحاد الصادرة عنهما، بعد أن أدخلهما في (أهل البيت) واعتبر قولهم "المرجع في الدين بعد جدهم (ص)".

وهكذا قبل الخوئي بتخصيص عام القرآن وتعميم خاصه وتقييد مطلقه، بناء على أخبار آحاد صادرة من أشخاص لا حجية في قولهم كالامامين الباقر والصادق. ووقع فيما حذر منه وهو التفسير بالظن.

ملحق رقم 1

كلمة سماحة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي دام ظله

بمناسبة ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على عيد الغدير الأغر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وافضل بريته قائد البشرية ونبيها العظيم الخاتم محمد وآله الطاهرين.

والسلام على إخواننا المؤمنين المجتمعين من مختلف بقاع العالم الإسلامي واقطاره المعمورة لإحياء الذكر العطرة أخذا بقوله تعالى: " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" واسأله تعالى شأنه أن يجمع كلمة المسلمين على حب نبيه الأمين (ص) **وأهل بيته الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**، وان يوحد مواقفهم وأهدافهم في هذا الزمن العصيب الذي ابتلي به الإسلام والمسلمون بمن يفرق شملهم ويوسع دائرة الخلاف بينهم ليسهل بعد ذلك على أعداء الله ورسوله السيطرة على ارادتهم، والتسلط على بلادهم، والتحكم بمصادر ثروتهم.

واذا كان لي أن انبه اخواني المؤمنين – وهم في مهرجانهم العظيم هذا – الى شيء بعد التمسك بشعائر الله سبحانه وتعالى، والتأسي بسنة رسوله الكريم، فليس هو الا التنبيه الى ما يثيره هؤلاء الأعداء من تفريق كلمة المسلمين وتشتيت هدفهم بإثارة البغضاء والشنآن بين أتباع مذاهب كلها تتمسك – والحمد لله – بحبل الله وحبل رسوله، ولا تختلف في التقرب الى الله بحب أهل بيت نبيه (ص) واحياء ذكراهم العطرة في مختلف مناسباتهم الدينية. وأوكد على هؤلاء المؤمنين – وفقهم الله لمراضيه – ألا يجعلوا مواطن اختلاف الرأي والاجتهاد المذهبي سببا من أسباب فرقتهم.

والمسلمون – بعد ذلك – يعلمون ما عليه كل مذهب من عقائد يتبناها أبناؤه **ولا ينبغي أن تكون هذه العقائد محورا يستغله المتربصون بهم لتعميق الهوة بينهم ومن ثم اضعاف شكوتهم جميعا.**

من هذا المنطلق كتب لي بعض اخوتنا المؤمنين عن عزمهم على إقامة مهرجان إسلامي مقدس بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول الركب النبوي في عدير خم، طالبين منا افتتاح **هذا المهرجان المبارك المعقود لذكرى اعلان النبي (ص) لأمته ولاية أمير المؤمنين علي (ع) تنفيذا للأمر الإلهي في قوله عز من قائل:" يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك، وان لم تفعل فملا بلغا رسالته، والله يعصمك من الناس".**

وانني اذ افتتح باسم الله وعونه تبارك وتعالى هذا المهرجان، نبتهل اليه تعالى أن يعصم المسلمين من الفرقة وأن يجمعهم على الحق وان يرسخ وحدتهم في مواجهة البغي والعدوان.

ان الحقيقة التي ينبغي أن تكون واضحة للجميع أن الاحتفال بيوم الغدير الخالد ليس احتفالا بيوم من أيام الله الكبرى فحسب، ولا مجرد احتفاء عاطفي بحديث نبوي شريف أبان فيه – الذي لا ينطق عن الهوى – مقام أمير المؤمنين (ع) وفضله، وان يكن في كل من هذا وذاك من معاني السمو والشأن ما يجعله أهلا للحفاوة والاحتفال على كل حال.

ان ليوم الغدير – عند من تدبر وأمعن النظر – معنى أدق وأعمق من محض التكريم ولتبجيل لشخص أمير المؤمنين (ع)، وبعدا أعم وأوسع مدى من ذلك، وخصوصية لا نجدها في كثير من أيام الله الزاهرة التي

عاصرها المسلمون الأوائل في ظلال النبوة، ذلك لأن هذا اليوم مرتبط كل الارتباط بمسألة من الأركان الكبرى في العقيدة الاسلامية، وهي مسالة الامامة في الدين التي يعدها الشيعة الامامية – تعبدا بما استنبطوه من النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة – جزءا متمما للرسالة واستمرارا لوجودها. وكان يوم الغدير يوم تأكيد هذه الحقيقة واعلانها على رؤوس الأشهاد متمثلة في علي (ع) الذي أجمع المسلمون على ما حباه الله تعالى من الفضائل التي امتاز بها عن غيره.

فانه (ع) وليد الكعبة، وهو أول من اسلم، **وهو الذي نص عليه النبي (ص) بالوزارة والوصاية والخلافة في أول البعثة عندما خطب في عشيرته الأقربين**، وهو الذي فدا النبي (ص) بنفسه في مبيته على الفراش ليلة الهجرة، وشارك في كل حروب الإسلام مجاهدا وفعل الأفاعيل بأعداء الله ورسوله، وهو الذي كرمه الله ورسوله باختياره زوجا لفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وهو الذي جعله رسول الله باب مدينة العلم وشهد أنه اقضى الصحابة، وهو الذي كان من النبي بمنزلة هارون من موسى، وهو الذي ضربت بزهده وورعه الأمثال.

أليس هذا الرجل الذي اجتمعت فيه كل هذه المزايا والمناقب وكثير من غيرها مما يضيق الوقت بتعداد بعضها فضلا عن سردها بأجمعها هو المؤهل الأمثل لحمل ثقل الأمانة، والحري حقا بأن يكون ولي كل مؤمن ومؤمنة.

وبهذا يكون الاحتفال بهذه الذكرى العطرة احتفالا بيوم عظيم من أيان الله الخالدة، وبموقف تاريخي شامخ من مواقف رسول الله (ص) المعنية بمستقبل الأمة، وباختيار موفق سديد لضمان استمرار المسيرة الإسلامية في طريقها السليم وصراطها المستقيم، بعيدة عما يفسدها من مساوئ التحكم ومنزلقات التسلط وشوائب الأهواء ونوازع النفوس الأمارة بالسوء.

ان أبناء علي (ع) اذ يحتفلون في جميع أنحاء العالم الإسلامي بذكرى الغدير المجيدة، فانهم يحملون في صميم عقيدتهم بالامامة والولاية عقيدتهم بالوحدة الإسلامية التي وضعها أمير المؤمنين (ع) في المرتبة الأولى من اهتماماته وبذل من اجلها أكبر تضحياته حين تجنب أي موقف يمكن أن يؤثر على الوحدة بين المسلمين وقال كلمته المشهورة في احدى أشد لحظات حياته أيلاما: "لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جور الا علي خاصة".

بارك لكم الله جميعا مهرجانكم ومجتمعكم، وشكر الله مساعي القائمين بذلك المشرفين عليه، وسدد الله خطا المشاركين فيه ببحوثهم ومحاضراتهم ومناقشانهم العلمية "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" والله تعالى من وراء القصد، وهو خير موفق ومسدد ومعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجلة الموسم العدد السابع 1990 ص 668 – 670

ويظهر اهتمام الخوئي بكتاب (الغدير) في اهدائه الى العالم السني التونسي محمد التيجاني السماوي، الذي التقى الخوئي في النجف في السبعينات من القرن الماضي، واجرى حوارا معه، أدى الى إعلانه التشيع، وتأليف كتابه (ثم اهتديت) الذي حظي برعاية الخوئي وتلامذته وجهازه المرجعي، الذي قام بطباعته ونشره وترجمته الى عدة لغات.